

العدد الحادى عشر من السنة الرابعة ذى القعدة سنة ١٣٦٢ - نوفمبر سنة ١٩٤٣

مجلة

الشؤون الاجتماعية

تصدرها شهريا وزارة الشؤون الاجتماعية

مدير التحرير : حسن الشريف : تليفون ٨٥٣١٢

القاهرة

طبعت بالطبعة الأميرية بمولانا

١٩٤٣

فهرس العدد

صفحة	
٣	رسالة وزارة الشؤون الاجتماعية ... فؤاد مراح الدين باشا
٦	النشاط الاجتماعي العام
١٢	مشكلة التبول ... للدكتور سليمان عزى باشا
١٦	في مفرق الطريق ... الأستاذ سيد قطب
٢٠	الاسراف في طبقات العمال ... الأستاذ فايد اليمورسى
٢٧	تبوغ شبانيا ... الأستاذ صلاح الدين الشرفى
٣٠	ملاحظات عابرة
٣٦	النهاية بالنفس ... > صلاح الدين الأيوبى
٤٠	المناعة الدائمة
٤٢	ظرات في كتاب "أميل" ... الكاتبة زينب محمد حسين
٤٨	في المحلة الكبرى ... الأستاذ محمد عبد الكريم
٥٧	واجب التاجر المسلم ... الأستاذ فكرى يس
٦١	الحج ركن من أركان الإسلام ... > مصطفى الصاوى
٦٦	في ميدان العمل الحرمتنع للجميع ... > عيسى متولى
٧٠	النعم المتور (نصه اجتماعية) ... بقلم سمير

رسالة وزارة الشؤون الاجتماعية

لحضرة صاحب المعالي فؤاد سراج الدين باشا

وزير الشؤون الاجتماعية

” في الرابع والعشرين من شهر أكتوبر سنة ١٩٤٣ التي حضره صاحب المعالي وزير الشؤون الاجتماعية كرامة من محطة الإذاعة اللاسلكية مفتوحاً بها سلسلة الاذاعات التي تنظمها وزارة الشؤون الاجتماعية ، وضح بها الأهداف الحقيقية التي ترى إليها وزارة الشؤون الاجتماعية والتي يجب أن ترى إليها وتعمل على تحقيقها ، ويسر هذه المجلة أن تنشر هذه المحاضرة القيمة تبعاً لفائدتها “

سيداتي ، سادتي :

باسم الله خير المتصلين ، وباسم مصر كنانة الله في العالمين ، أفتح هذه الحلقة من سلسلة أحاديث الإصلاح الاجتماعي ، يذيعها عليكم بعض كبار موظفي وزارة الشؤون الاجتماعية ، ونقر من قادة الفكر وذوى الاصاله ، الذين عكفوا على دراسة مشاكل هذا البلد الاجتماعي ، ليعرفوكم بمشروعات هذه الوزارة وأعمالها ، وليطلعوكم على أغراضها وغاياتها ، ويدعوكم الى التكاثر معها في أداء رسالتها .

فما كان لهذه الوزارة الفتية ، وهي التي ما أنشئت الا لخدمتكم ، ولا تنجح الا بمساهمتكم وإقبالكم ، أن تغفل واجبا من أهم واجباتها وهو تهيئة الأذهان لجهادها وتمهيد السبيل لرسالتها ، وتوجيه الرأي العام وجهة اجتماعية صالحة ، ونشر المبادئ الاجتماعية السامية بين أفراد هذا الشعب الكريم .

وإذا كان هؤلاء المحاضرون والمحدثون هم دعاة الاصلاح الذي نشد ، ورسول المجد الذي نبغى فمن حقهم عليكم أن ترهفوا إسماعكم الى ما يذيعون وأن تعوا ما يقولون ، فان هذه الأحاديث وتلك المحاضرات هي في الواقع طلائع ثورة اجتماعية ، ما أحوج الوطن اليها . ثورة على الجهل حتى يحى ظلماته ، وثورة على الفقر حتى تنهى نكباته ، وثورة على المرض حتى تزول مسبباته . فلهذه الأغراض النبيلة قامت وزارة الشؤون لتصل بالإيمان والعمل الى تحقيقها .

ولقد اخترت أن أحدثكم الليلة عن رسالة وزارة الشؤون الاجتماعية وأنا مؤمن بأن لهذه الوزارة رسالة سامية تعمل لها ، وتسمى في أدائها دون كمال أو ملل . وهذه الرسالة التي اضطلعت بها هي مبعث وجودها . فقد نشأت هذه الوزارة عن ضرورة ملحة وتولدت عن حاجة ماسة هي ضرورة رفع المستوى الاجتماعي لهذا الشعب ، وهي حاجة الطبقات الفقيرة الى رعاية خاصة من جانب الدولة ، ومضاعفة الجهود في سبيل رفع مستواها ورخائها وصد عوامل الجهل والفقر والمرض عنها .

لقد مضى وانقضى ذلك الزمن الذى وكلت فيه الحكومات أمر الطوائف العاملة والطبقات الفقيرة الى نفسها دون أن تحيطلها بشئ من حمايتها ورعايتها . مضت تلك الأحقاب وانقرضت تلك الحكومات ووليت حكومة الوفد مقاليد الحكم فجعات نصب عنها حماية هذه الطبقات ورعاية حقوقها ، ومكافحة الامراض الاجتماعية حيثما حلت ، والارتقاء بمستوى الشعب الى المرتبة التى هو جدير بها .

لقد أصبح للخصارة الاجتماعية - أيها السادة - نظم وقواعد وقوانين ثابتة فى حياة الأمم الراقية ، بل تختلت هذه الخصارة حدود الأمم والممالك لتجتمع الدول من حولها ، وتوحد فى الإصلاح منهاجها ، على نحو ما كانت تضعه عتمة الأمم من تشريعات واتفاقيات تجتمع عليها الدول ، لصالح العمال وسائر الطبقات الفقيرة .

على أنه لا بد بعد هذه الحرب من أن تسير الدول كلها فى هذا المضمار وتجذب فيه ، وقد بانث دلائل ذلك فيما تضعه بعض الدول العظمى من مشروعات للإصلاح الاجتماعى ، حتى فى هذه الحرب لم تعدم الانسانية أنصارها العاملين لها ... ولئن كان فى الميادين نيران وقودها الناس والأموال ، تخلف الميادين علماء يعرفون أن لهذه الفتنة نهاية ، وأنه لا بد من طريق معبدة أمام الانسانية ، طريق تضمن الحياة الآمنة لكل فرد فى العالم ، وما مشروع (بيفردج) للتأمين الاجتماعى سوى مثل لما تفكر فيه الأمم الراقية من مشروعات اجتماعية تسير عليها حالما تضع هذه الحرب أوزارها ويرفرف السلم علينا بالوليتة .

نحن هنا فى مصر دورنا أكبر من دور هذه الأمم ، لأن ميدان الإصلاح فى كثير من مرافقنا ما يزال بكرا . لهذا فرضت على وزارة الشؤون الاجتماعية تبعات خطيرة ، ومسئوليات جسام . وان وزارة الشعب وعلى رأسها حضرة صاحب المقام الرفيع ومصطفى النحاس باشا ، لتضع فى المكانة الأولى من عنايتها واهتمامها ، خدمة مختلف طبقات الشعب من كل وجه تستطيعه ، وبكل جهد تملكه ، وبكل ما تيسر لها من مال ، رغم ما تلاقىه من صعوبات بسبب ظروف الحرب الحاضرة .

سيداتى ، ساداتى :

هذه هى رسالة وزارة الشؤون الاجتماعية ، تضطلع بها أحسن ما تضطلع ، وتؤديها أفضل الأداء ، ولقد مضت الوزارة ولا تزال تمضى فى سبيلها قدما بلا توقف أو تردد أو نكوص ، وهى أشد ما تكون تمسسا لأداء واجبها أثناء فترة الحرب وما بعدها ، وأمضى ما تكون عزما على القيام بالدور الذى فرض عليها ، وقد جعلت قصارى جهدها لإصلاح حال السواد الأعظم من الشعب المائل فى الملايين العديدة من صغار الزراع ومن العمال ، عاملة مجاهدة فى مكافحة الفقر والعوز ، والتسول والتشرد ، ونشر الثقافة الشعبية ومكافحة الأمية ، واستئصال كل ما يهدد كيان الأمرة المصرية ، ومكافحة البطالة بين العمال وربت روح التعاون بين أفراد الشعب وجماعته ، وإصلاح السجون لتكون أداة تهذيب وإصلاح ، وتهيئة الأسباب التى تكفل للسجون بعد الإفراج عنه سبل الارتزاق حتى لا يعود إلى هذه المساوىء مرة أخرى .

وتبذل وزارة الشؤون الاجتماعية في سبيل تحقيق هذه الأغراض الجهد الكثير والمال الوفير . فكم من تشريرات صدرت أو في طريقها إلى الصدور لتعسين حال العمال وتنظيم علاقاتهم بأصحاب الأعمال وتعيين حد أدنى لأجورهم ، وتحديد ساعات عملهم ، والاعتراف بنقاباتهم وتأمينهم ضد العجز والشيخوخة وإصابات العمل .

وكم من مطاعم شعبية أنشئت وستنشأ لتوفر للفقراء غذاء صحيا بئس زهيد .

وكم من مكاتب مساعدات اجتماعية افتتحت وستفتتح بختلاف أرجاء القطر لتفحص حالة الأسر الفقيرة ، فتمدها الوزارة بعونها المادي .

- ذلك كله عدا عشرات المئات من الجمعيات التعاونية التي تؤسسها وتشرف عليها لمساعدة صغار الزراع في القرى وذوى اليراد المحدود في المدن ، وعدا المراكز الاجتماعية التي أعدت للنهوض بالفلاح في مرافق حياته ، وعدا الهيئات الرياضية التي توجهها ، والساحات الشعبية التي تنشرها ، والسجون والملاجئ التي تديرها ، والجمعيات الخيرية التي تمدّها باعانتها للمساعدة في مساعدة الطبقات الفقيرة وتحسين مستواها الاجتماعي .

سيداتي ، سادتي :

هذه بالأجمال أعمال وزارة الشؤون الاجتماعية ومناهجها ، وتلك غاياتها وأغراضها ، وقد دب فيها النشاط في عهد وزارة الشعب ، فأصبح لها أثر ملموس في خدمة كل طبقة عاملة ، وكل أسرة معوزة ، وكل شخص جدير بالمساعدة .

على أن هذه الوزارة لا تستطيع أن تؤدي رسالتها كاملة غير منقوصة ، إلا بمساعدة القادرين ومساهمة الشعب نفسه في أداء هذا الواجب الوطني .

فن واجب الأولين أن يقدموا الفائض من أموالهم وجهودهم للخدمة في ميدان النهضة الاجتماعية التي نبتخها لهذا الشعب . وعلى الشعب أن يتعرف إلى ما يزيد له من نهضة ، بإقامة المؤسسات الإصلاحية والمنشآت الاجتماعية ، فيقبل عليها ، وينتفع بها ، ويعمل بما توجهه إليه الوزارة من نصيح وإرشاد سواء بما تنشره في مجلتها أو يلقيه كبار موظفيها من محاضرات أو يذيعه المشتغلون بالمسائل الاجتماعية عليه من إرشادات .

فإن هذه الوزارة لم تقم إلا لسواد الشعب ونصرة قضيته ورفع كلمته ، فهي جزء من وزارة الشعب ، ووزارة الشعب ملك للشعب ، تسلك كل سبيل لراحته ، وتتجشم بكل صعب لبناء مجده ونهضته في ظل جلالة الملك المعظم حفظه الله وأبناؤه .

وانى لأرجو من الله مخلصنا أن يوفقنا إلى ما فيه خيركم ورضاكم ، فإن رضاء الأمة من رضاء الله ، ورضاء الله هو كل ما نتمناه .

والسلام عليكم ورحمة الله .

النشاط الاجتماعي العام

مشروعات الموسم

مكافحة الأمية - علاج التشرد - الإصلاح الزراعي

كانت مشروعات الموسم في العام الماضي هي "مشروع تحسين الصحة القروية" الذي نهضت به وزارة الصحة ، و "مشروعات الضمان الاجتماعي المختلفة لطوائف العمال" وقد نهضت بها وزارة الشؤون الاجتماعية ، و "مشروع استخدام اللغة العربية" وهو كذلك من اقتراح هذه الوزارة وتحضيرها . وقد تحدثنا عن هذه المشروعات جميعا على صفحات هذه المجلة في ذلك الحين .

ولأوسم الحاضر في هذا العام مشروعاته العظيمة كذلك ، ونحن نعني باصطلاح "مشروعات الموسم" أهم المشروعات الإصلاحية ذات الأثر الحاسم في الإصلاح الاجتماعي ، والتي تستطيع حين تنفذ تنفيذا صحيحا كاملا أن تحدث تطورا أساسيا في بناء المجتمع المصري . والمشروعات الثلاثة التي عنوانها لهذا المقال هي من هذا النوع بلا جدال . فلنقل كلمة مختصرة عن كل من هذه المشروعات .

مكافحة الأمية

لقد قلنا : إننا نختلفنا عن ركب العالم المتحدين في علاج الأمية . وقبل ربع قرن فقط ، أي قبل أن تتولى الأيدي الوطنية الهيمنة على شؤون التعليم ، كانت نسبة القارئ لا تتجاوز ٤ ٪ . فالحمد لله على أنها أصبحت اليوم تقارب ٢٠ ٪ . ولعل بعض الأرقام هنا تستطيع أن تدلنا على الخط البياني لحركة التعليم .

ففي عام ١٩١٩ كان مجموع المدارس الأولية للبنين والبنات في طول البلاد وعرضها ١٤٠ مدرسة ، تضم ١٧٣٥٨ تلميذا وتلميذة . ولم يكن هناك إلا روضتان للأطفال واحدة في القاهرة والأخرى بالاسكندرية تضمان ١٧٥ تلميذا وتلميذة .

وكان عدد المدارس الابتدائية سواء ماتديره الوزارة أو مجالس المديریات أو الأهالی لا يتجاوز ١٢٢ مدرسة، تضم ٢٢٠٣٦ تلميذا يضاف إليها ٣٧ مدرسة للبنات تضم ٤٠٢٥ تلميذة .

أما المدارس الثانوية فكان عددها سبع للحكومة و٣٥ للأهالی ومجموع تلاميذها ٧٥٥١ تلميذا ولم تكن توجد مدرسة ثانوية واحدة للبنات، فكان تلميذهن مقصورا بعد التعليم الأتلی أو الابتدائی علی مدرسة المعلمات الأولية ومدرسة المعلمات السنية .

وكذلك كان التعليم العالی مقصورا علی مدارس الطب والهندسة والحقوق والمعلمين ودار العلوم والتجارة العليا . أما التعليم التجاری والزراعی الفنی فكان محدودا محصورا فی مدرسة التجارة المتوسطة ومدرسة الفنون والصنایع ببولاق ومدرسة الفنون الجميلة ومدرستين للزراعة المتوسطة .

فی هذا النطاق الضيق كانت تدير حركة التعليم قبل ربع إقرن ، وقد كان لعهد الاستتلال أثره فی توسيع هذا النطاق فأصبحنا فی سنة ١٩٤٣ وتلاميذ المدارس الأتلیة يباغون المليون، وجملة التلاميذ فی المدارس الابتدائية والثانوية حوالی ٧٠٠.٠٠٠ ولنا جامعتان ومعهدان عالیان للتربية بنين وبنات، وعدد المدارس الفنية والصناعية والزراعية والتجارية ثمانون معهدا ... الخ .

وكل هذا يبشر بالخیر، ولكنه لا یحل المشكلة الأساسية مشكلة الجهل أو مشكلة الأمية فإن نسبة القارئین — كما قلت — لا تتجاوز ٢٠ فی المائة ، ومعنی ذلك أن هناك نحو ٨٠ فی المائة من مجموعة هذا الشعب تجهل القراءة والكتابة ، أى أن كتلة الشعب العامة لا تزال محجوبة عن الحياة . لا تستطيع استخدام حقها الإنسانی علی الوجه الصحيح من ناحية اتصالها بالعالم ومسايرتها للحياة فی القرن العشرين .

وبیان ذلك أن الرجل الجاهل لا يستطيع أن یحسن استعمال حقه ، لأنه لا یزن الرجال ولا الحوادث بیزان صحيح، ولا يستطيع كذلك أن ینجح فی الحياة العملية كما ینجح المتعلم لأنه لا یملك أقوى سلاح من أسلحة الصراع المعاشی والقانونی فی المجتمع، ولا يستطيع أن یكون عضوا نافعا فی الهيئة الإنسانية لأنه مكفوف عما یجرى فی العالم من اتجاهات .

ومن هنا تبدو أهمية " مشروع مكافحة الأمية " وتفتیح أهدافه القومية والانسانية . فهو محاولة كبرى لعلاج نصف أمراض المجتمع المصری ، وعلاجها من الأساس ، وهو فی الوقت ذاته محاولة لمكافحة الفقر عن طریق غیر مباشر .
ومن هنا كان مشروعا من " مشروعات الموسم " .

علاج التشرّد

مصر بلد الشحاذين ، هذا مع الأسف الشديد هو أحد عنوانات مصر في قاموس الأجنبي . ولم يكن بد من أن تكون مصر كذلك ، لأن جميع أسباب التشرّد تجتمع في حياتها العامة والخاصة . ولم تكن تجد من العناية بالمشكلة إلا القدر النافه الضئيل . قبل المشروع الكبير الذى تم به وزارة الشؤون الاجتماعية في هذه الأيام ، وقبل أن نتحدث عن هذا المشروع يحسن أن نذكر نبذة عن بعض أسباب التشرّد في اختصار :

في مقدمة هذه الأسباب : الفقر : وللفقر أسبابه المتشابهة من الجهل والمرض وسوء توزيع الثروة ، وضعف الروح الاجتماعية ، وفقدان التعادل بين الجهد والجزاء ، وقلة الضمانات الاجتماعية وضيق الموارد العامة . . إلى آخر هذه الأسباب .

ومنها المرض أو الشذوذ ، وكلاهما يؤدي إلى فقدان العائل أو سوء سلوكه أو توريثه أطفاله شذوذا خاصا ، وكلها وسائل مؤدية إلى التشرّد من قريب أو بعيد .

ومنها المخدرات والخمور ، ويمكن إصاقتها الى المرض والشذوذ ، وكثيرا ما يكون إدمانها ناشئا عنهما أو مؤديا إليهما . فالإدمان والمرض والشذوذ مسالك تؤدي إلى غاية واحدة في مشكلة التشرّد .

ومنها العجز عن العمل وعن كفالة الأطفال أو موت العائل . ويمكن إصاقتها إلى قائمة المرض على حد سواء في النتيجة .

ومنها الشقاق بين الزوجين وتحطم الأسرة لسبب من الأسباب التي لا تحصى وفي مقدمتها الجهل بفن الحياة الزوجية وسهولة الطلاق ، وفقدان الضمانات للأطفال في حالة تحطم الأسرة .

ومنها فساد المسكن وضيقة وفقره مما يجتذب الطفل إلى الشارع فيقوده هذا إلى الشرور ويلقيه في أحضان العصابات التي تلفظ الأطفال وتدر بهم على حياة الإجرام .

ومنها تشغيل الأحداث في سن مبكرة على الرغم من القوانين الموضوعه لهذا الغرض ، أو سوء معاملة " الأمطوات " لم وأثرها كأثر فساد المسكن في هروب الطفل وإيثاره حياة الشرور على حياة العمل المرهق المضاد لغرائزه وميوله .

ومنها وجود عصابات وظيفتها إغراء الأطفال وتدريبهم على الجرائم بوسائل شيطانية لا يستطيع هؤلاء الصغار معرفة نتائجها في أول الأمر ولا يستطيعون الخلاص منها في النهاية .

ومنها ضيق الإصلاحات عن ترسل بهم إليها محاكم الأحداث . وهذا الضيق يساعد مشكلة التشرذم عن طريقين أولهما: ترك عدد من المحكوم عليهم خارج الإصلاحات . وثانيهما: حشر طوائف الأحداث المختلفي المشارب في دار واحدة فيأخذ بعضهم من بعض ويزدادون استعدادا للجرائم جديدة لم تنهأ لهم معرفتها في الخارج . فيعرفها بعضهم من بعض في داخل الإصلاحية نفسها !

وليست هذه الأسباب التي ذكرناها إلا "عينة" من الأسباب الكثيرة الأخرى ، وهي "عينة" تعتمد على الحدس وعلى الظواهر ما دامت ليست لديها إحصائيات مفصلة عن المشردين وعن أسباب التشريد الحقيقية وظروف كل حالة .

نعم لدينا بعض الإحصائيات عن أطفال الإصلاحات وعن الأطفال الذين تعنى بهم بعض الهيئات ، ولكنها لا تؤدي إلى الغاية المطلوبة . وإن كانت تفي للإشارة إلى تشعب المشكلة .

وقد بلغ عدد الأطفال المشردين رقما ضخما مع أن إحصاءهم لم يكن دقيقا ، لأن أحدا لم يحاول هذا الإحصاء على أصوله العامة المقتررة .

والمشروع الكبير الذي تهتم به وزارة الشؤون الاجتماعية في هذه الأيام يشمل نحو ستة آلاف من هؤلاء المشردين . وليست قيمة هذا المشروع في العدد ولكن في تغير العقلية التي تنصت إلى علاج المشكلة على وجه جديد .

فلقد كان أقصى علاج للمشكلة من قبل ، أن ناصر البوليس بمطاردة هؤلاء الصبية وأن يقبض على من تصل يده إليهم .

فالمشروع الجديد يعترف لهؤلاء المشردين بالحق في العناية الإنسانية ويمدحهم بجنايا عليهم لا جناة ، ويحاول أن يردهم إلى المجتمع عن طريق الإصلاح والتربية والإعداد للحياة .

والواجب انتهاز فرصة تلك النهضة لوضع أسس صحيحة للوقاية ولللاج . فالتشرذم ظاهرة من ظواهر مرض أصيل ذكرنا بعض أسبابه فيما تقدم ، فعلاج هذه الأسباب قد يتقضى على الظاهرة من أساسها ، ويعطينا من كثير من الأعباء التي لا بد أن نختلها في تربية المشردين وإصلاحهم .

على أن ما ذكرناه من الأسباب إنما هو "تخمين" ما دمنا لم نقم بدراسة شاملة لأسباب التشرذم مبنية على الإحصاءات والتجريات الواقعة لا على مجرد الفروض . والواقع أننا في حاجة إلى منهاج ضخم ولا شك أن معالي وزير الشؤون الاجتماعية سيغني بوضع هذه المشكلة على أسس علمية ومنهاج سليم .

وقد رصدت وزارة الشؤون الاجتماعية من ميزانيتها المحدودة مبلغ ١٢٠,٠٠٠ جنيه. فإذا قامت بهذه الإحصاءات والدراسات، فإنها تستطيع حينئذ أن تطلب من الدولة الاعتمادات الكافية وأن تطلب إلى الأمة المساهمة كذلك على نحو ما ساهمت في مشروع تحسين الصحة القروية فيستجيب لها الجميع .

الإصلاح الزراعي

وهذا المشروع الثالث نهض به وزارة الزراعة ، ونحن نعده من مشروعات الموسم ، ونضمه إلى قائمة " النشاط الاجتماعي " لأن كل مشروع ترقية الحياة الريفية من أى جانب هو مشروع اجتماعي قبل كل شيء .

وقد وضعت وزارة الزراعة مشروع قانون الإصلاح الزراعي القروي على ضوء تجارب الماضي ، والتبصر لحاجات المستقبل ، وذلك بإنشاء مجموعات زراعية كل مجموعة منها تضم ما يقرب من ١٥,٠٠٠ فدان تعمل على النهوض بالإصلاح الزراعي ورفع مستوى الإنتاج بنوعيه وترقية الأحوال المادية للفلاح ، والعناية بتربية الحيوان وتقديم المعونة للجمعيات التعاون الزراعي وتشارك مع وزارة المعارف في تطبيق مناهج التعليم الزراعي بالمدارس الأولية في القرى وينشأ في المجموعة حقل نموذجي به مشتل وحظائر ومؤسسة لنشر الصناعات الزراعية ووحدة بيطرية ومستشفى للحيوان ومجزر وينشأ لكل مجموعة مجلس زراعي قروي من أشخاص يهيئهم وزير الزراعة .

ولكى ندرك أهمية مثل هذا المشروع الكبير يجب أن نلقى بالنظر إلى تأخر مصر - البلد الزراعي الأول في التاريخ - عن جميع البلاد الزراعية المتحضرة في الأخذ بوسائل الإنتاج الحديثة ، وفي إيجاد الصناعات الزراعية ، وأن نعقد موازنة سريعة بيننا وبين بعض البلاد الزراعية التي أخذت بهذه الوسائل .

فها هي ذى أمة صغيرة كالدانمارك، سكانها أقل من أربعة ملايين ، ولا تزيد مساحة أراضيها الخصبة على مليون فدان ، ومع ذلك أصبحت ثروتها الحيوانية منبعاً من منافع ثروتها وجزءاً هاماً من صادراتها . ويكفي أن نذكر أرقام ما كانت تملكه قبل الحرب من الثروة الحيوانية لتظهر هذه الحقيقة .

فقد كانت تملك ٣,٥٠٠,٠٠٠ رأس من الماشية و ٢٠,٠٠٠ رأس من الأغنام و ٥,٠٠٠,٠٠٠ رأس من الخنازير و ٢٢,٠٠٠,٠٠٠ دجاجة ، ونحو نصف مليون حصان ، وبلغت صادراتها ما قيمته نحو خمسين مليوناً من الجنيهات أكثر من نصفها خاص بالثروة الحيوانية .

أما المملكة المصرية الخصبة الواسعة الأراضى فبعد أن كانت تصدر سنويا نحو مائة ألف رطل من السن ومقدارا معيناً من الجبن والجلود ، تدهورت هذه الصادرات الضئيلة وأصبحت تستورد قبل الحرب بمبالغ ضخمة من المنتجات الحيوانية كل عام . فهى مثلا كانت قبل الحرب تستورد أغناما بما قيمته ٨٠,٠٠٠ جنيه ، وماشية وجاموسا بمبلغ ٧٠,٠٠٠ جنيه وجمالا بمبلغ ١٥٠,٠٠٠ جنيه ودجاجا وطيورا بمبلغ ٢٥٠٠ جنيه ولحوما بمبلغ ٥٢,٠٠٠ جنيه ، ومنتجات ألبان بمبلغ ٣١٠,٥٠٠ جنيه وسمادا كياويا (يمكن الاستثناء عن جزء كبير منه بالسماد الحيوانى لو توافق) بما يزيد على مليونين من الجنيهات .

ومعنى هذا أن مصر البلد الزراعى لا يكفى نفسه من المنتجات الحيوانية ، ودع عنك ما كان يجب أن يصدره كما تصنع البلاد الزراعية وفي مقدمتها الدانمرك وأستراليا .

وتطول بنا الموازنة لو رحنا نتبع جميع المنتجات الزراعية والحيوانية فى مصر وفى البلاد الزراعية الأخرى ككولاندا وأستراليا وبعض الولايات الأمريكية . وكل ما بيننا وبين هذه البلاد من فروق ، هو أنها تضع إنتاجها الزراعى والحيوانى على أسس علمية حديثة ، وأنها لانزال تجرى على الأسس البدائية فى الزراعة وفى تربية الحيوان .

وقد نشأ هذا عن الجهل أولا ، وعن الفقر ثانيا ، وهما علة العلل فى كل ما يصيبنا من نكبات ، فالجهل يحول بين الفلاح المصرى وبين التفكير فى الأخذ بالوسائل الحديثة فى الإنتاج . والفقر يحول بينه وبين استخدام الآلات فى الزراعة . وكل إرشاد نظرى لا يجدى مع هذه الحالة ، فلا بد من إرشاد عملى ومن نماذج واقعية يحتذيها هذا الفلاح المحروم من العلم والتعاون .

والمشروع الحاضر كغليل يعلاج هذه الأمور علاجا عمليا محسوسا ، وهو لا يتضمن مع وزارة المعارف فحسب فى البرنامج الدراسى لمدارس التعليم الأولى . بل يتضمن كذلك مع وزارة الشؤون الاجتماعية فى برنامج التعاون ، ومع وزارة الصحة فى برنامج تحسين الصحة القروية . ومن الخير أن يقع هذا التضامن بين برامج الوزارات المختلفة المتعلقة بالإصلاح العام .

وسيجد نحرى المعاهد الزراعية والبيطرية المجال واسعا أمامهم لتطبيق معوماتهم والانتفاع بكفائاتهم ، فلم يكن أعجب من تعطل نحرى هذه المعاهد فى بلد زراعى تقوم ثروته الأساسية على الزراعة .



هذه مشروعات الموسم ، وهو موسم حافل ولو اقتصر على هذه المشروعات وحدها . والمتظر أن توضع الأسس الثابتة لهذه المشروعات الإصلاحية الكبيرة ، لتؤتى ثمارها بصفة وطيدة دائمة .

مشكلة التسؤل

لحضرة صاحب السعادة الدكتور سليمان عزمى باشا

عيد كابة الطب

إن الشعب المصرى الكريم شعب محسن غاية الإحسان، ولكنه لاينظم إحسانه وتوزيع صدقته وزكاته، والمسلمون منه يحبون الإحسان أسوة بالنبي الكريم الذى كان أجود ما يكون متبعاً قوله تعالى : (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) وقوله تعالى : (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) .

ولمناسبة قيام الحكومة بمنع التسؤل رأيت الفرصة مناسبة جداً لأن أتحدث فيها عن هذه المشكلة لى أوفق إلى الفرض الذى أقصده وهو توجيه الشعب المصرى الكريم إلى تنظيم إحسانه. وسأعرض أثناء الحديث بعض النقط الهامة فى نظرى على الرأى العام ليناقشها حتى يزيد الموضوع جلاء ووضوحاً أمام القارئ على شئون الأمة خصوصاً وزارة الشؤون الاجتماعية.

فالمسألة خطيرة وتتطلب علاجاً ناجحاً فعلاً لمنع التسؤل معنا باتنا لارجعة فيه، ولا يمكن ذلك إلا إذا عولجت الأمور من مسباتها واستوصلت من جذورها ، لا علاجاً صحياً مؤقتاً لا يلبث أن يعود بعده التسؤل إلى ما كان عليه ، وذلك بمعالجة الفقر الذى نتج عن إهمال الناس وتعاونهم وعدم وضع أسس ثابتة صحيحة للإحسان تراعى فيها المصلحة الاجتماعية الدائمة .



والتسؤل كما هو عليه الآن فى مصر وصمة عار ظاهرة على القطر المصرى بأكله حكومة وشعباً وهيئات خيرية وأفراداً ... حكومة، لعدم اتخاذ الوسائل لمنع أسبابه ونشكرها إذا أخذت فى ذلك الآن - ولا شك عندى أن وزارة الشؤون الاجتماعية ستقوم بهذه المهمة خير قيام، رغماً عن تشعبها واتساع نطاقها وصعوبتها - وشعباً وهيئات خيرية ، لعدم قيامها بشكل منظم بواجبها نحو البؤساء والفقراء للمساعدة على إيوائهم وتخفيف ويلاتهم ، وأفراداً ،

الإحسانهم على محترفي التسول والتسائل في إعطاء القرش للسائل بدل اشتراكهم في جمعيات خيرية لهذا الغرض وبهذا التساؤل يشجعون المتسولين ، ولا شك عندي أن المصريين سيقدرّون هذه الظروف .

ومنع التسول أمر حسن وحسن للغاية ولكن كيف الوصول إليه ؟ فالمشكلة ليست كغيرها تحل بمجرد إصدار قانون والاعتماد على تنفيذه بواسطة الإدارة والبوايس ، وهذه الهيئات الخيرية فضلا عن قيامها بواجبها فانها مرهقة بكثرة الواجبات وتعدها .

ومما يساعد على منع التسول علاج الأمراض المضعفة لابنية المنهكة للقوى . وعلاج المدمنين على المخدرات وجود دور خاصة بالمصابين بالأمراض المستعصية والمزمنة وإنشاء ملاجئ للعجزة وذوى العاهات كافية لإيواء الفقراء وغير القادرين على الكسب وأمثالهم ، وكذا زيادة عدد الملاجئ الخاصة لإيواء الأطفال المتشردين وتعليمهم وتدريبهم على مهن يكتسبون منها ، وإيجاد عمل للعاطلين والاستمرار في محاربة المخدرات . ولو عولجت الأمراض القابلة للشفاء وأعدت الأماكن الكافية لإيواء العجزة والمصابين بالأمراض الغير قابلة للشفاء وزيد عدد الملاجئ عامة وللاطفال خاصة لقل حتما عدد هذه الفئة من المتسولين . ولا بد أيضا من التفكير من الآن في مشكلة العمال العاطلين قبل ظهورها .

ولو قمنا بعمل أطراف صناعية لمن يترت أرجلهم ونظارات لمن ضعف نظرهم ووجدت الدور للنقاة ينتقل إليها المريض بعد تمام شفائه في المستشفيات ليتغذى ويعتنى به في جو صحي حتى يسترد قواه ويصبح قادرا على العمل ، لكان لذلك أطيب الأثر في عدد لا يستهان به من المضطرين للتسول لفقورهم ومرضهم وضعف صحتهم وعدم مقدرتهم على الكسب من طريق آخر .

من هنا يتبين جليا بعض فوائد ومقاصد مشروع يوم المستشفيات الذي دعونا له هذا العام . ولنا في نظام بعض الممالك الراقية أسوة حسنة . يلخص هذا النظام في الاحتفاظ ببعض الحرف والمهن ، فالتجارة الخفيفة التي لا تتطلب مجهودا قويا لبعض ذوى العاهات الغير معدية والمصابين بتر أو غير ذلك مما يجعلهم غير قادرين إلا على الأعمال التي لا تتطلب مجهودا بدنيا كبيرا .

ولو أدخل هذا النظام في بلادنا وروعى العمل به أثناء إعطاء الرخص لساعد ذلك كثيرا على إيجاد عمل مريح لهذه الفئة .

هذه الفئة التي ذكرتها من المتسولين ممن اعتلت صحتهم وأصيبوا بالعاهات إلى آخره هم من اسميهم المضطرين إلى التسول مرغمين مكرهين كارهين وبعضهم بحكم الممارسة وتعود التسول يتحول إلى متسول محترف .

وأما فئة محترفي التسؤل فأعود قائلاً أنهم آفة اجتماعية ووصمة أخلاقية ومثلهم كمثل المتباينين بأمراض عقلية أو نفسية أو شذوذ عقلي نفسي ... أقول ذلك لتمامي تسميتهم بالمتشردين أو المجرمين ولكنني أجد نفسي مضطراً أن أسمى بعضهم بهذه التسمية لأشاهده من يستهون بالأحداث ويدبرونهم على التسؤل ويتسولون على ما يجمعونه من نقود وغيرها . فهؤلاء مجرمون خطرون على الهيئة الاجتماعية يدعون أن التسؤل فن ، بدون أي نجل ... نعم أنه فن ، ولكنه فن مردول قبيح . يقف هؤلاء المحترفون في أماكن يختارونها لاسطياد المحسنين ومضايقتهم ، معتبرين أن تصنع العاهات فن ، وما ذلك بفن ، ولكنه احتلال تجب محاربتة والقضاء عليه .

هذه الفئة من محترفي التسؤل يجب عزلها في ملاجئ أو إصلاحات خاصة كما يفعل بالأحداث ذوى النزعة الإجرامية والمتشردين منهم ، على أن يعاملوا باللين والرفق ، وعلى أن يدربو على مهن وحرف يكتسبون منها ، وتلقى عليهم دروس وعظات على قدر ما يفهمون لإصلاح حالتهم النفسية والعقلية حتى يقاهاوا تماماً عن هذه العادة المرذولة، ويعودوا تدريجياً إلى طريق الكسب الشريف .

إن بعض محترفي التسؤل يتحايل ليقلد عاهة مرضية يتظاهر بها أمام الناس استدراراً لعطفهم واستغلالاً لشفتقتهم ورحمتهم على البائسين والمرضى .

هؤلاء هم حقاً مرضى العقول والنفس ، ويجب اعتبارهم كذلك ومعاملتهم كمرضى وحجزهم وتعليمهم في الإصلاحات وعلاجهم .

وأما من كبروا وتأصلت فيهم عادة التسؤل ولم تتحج معهم هذه الطرق الإصلاحية فليس لهم سوى العزل في ملاجئ خاصة بهم .

وأما المجرمون منهم فلا رادع ولا وازع لهم سوى العقوبة .

* * *

وإن أتمت الحكومة هذا العمل بكل فروعه ونواحيه ، فإنها تسدى إلى مصر أكبر خدمة تستحق عليها أعظم شكر وأجل تقدير .

وعلى الشعب أن يساعد الحكومة والهيئات الخيرية ، فيعطى ما يوجد به إلى الهيئات الخيرية ولا يعطى للتسولين ، وأن ينظم كل فرد منا إحسانه فيضع ثمنه في جمعية برما ، يعتمد في صحة أغراضها وسلامة إدارتها التنوب عنه في رعاية البائسين ، أو يساعد عائلته ما أخنى عليها الدهر إلى غير ذلك ، ليبرئ ضميره ويريجح بأنه قام نحو الهيئة الاجتماعية بواجبه نحو أخيه الإنسان البائس .

إننى أعلم علم اليقين ، بوجود فئة صالحة محسنة ، لا تعلم بسرّها ما تعطيه يمنّاها . بل قاما
نسمع عنهم ، يرون البأس واليتم والمحرّوم ومن أخنى عليهم الدهر ، ممن يحسبهم الجاهل
بجالتهم أغنياء من التعفف — هذه الفئة الصالحة تساعد عن طيب خاطر في أعمال البر
والإحسان بدون أى تظاهر .

فإن فعلت ذلك أيها المصرى الكريم ، واشتركت في هيئة من جمعيات البر ، فإنك لن تجزع
ولن تعوز ، ولن يؤذّبك ضميرك إذا ما امتنعت عن إعطاء السائلين في الطرقات . وأما إذا
استمر أفراد الشعب في الإحسان جزافا وبغير انتظام ، واستسهل دفع القرش بدل تحمل
مضايقة السائلين وبدل الارتباط بدفع مبلغ معلوم ، فإنهم يقفون في سبيل المصلحين ، بل
أن يعاونوا الحكومة ويساعدوها في التضاء على هذه الرذيلة .

أضرب مثلا من سخاء المصريين في الإحسان ما يصرف في القرافة . نرى من الواجب
أكرام القائمين على شئون المقابر ، ونبرر صرف الإحسان باعتدال في هذه المناسبة وأن من
اللائق وضع شيء من الزهور والرياحين على القبور .

ولكن المغالاة في غير ذلك من إقامة الموائد والاسراف لا نرى لها مبررا ولا مثيلا
في البلاد الأخرى وها نحن تعيش بيننا جاليات أجنبية مختلفة لم نشاهد عندنا شيئا من هذا .

ووجه الغرابة أن الأغلبية الساحقة من المتنورين يقاومون ذلك بالاقبال ويودون
الإقلاع عن هذه العوائد ولكن الكل يخشون الانتقاد وملامة اللاميين . ولو نظم جمع نصف
ما يصرف في هذه الوجوه لكفى لإنشاء حملة ملاحق لإيواء الفقراء والبائسين .

توجد مسائل أخرى نرجى بحثها لفرصة أخرى لضيق المقام . وأنوه فقط بأن النساء
اللاتى يحملن الأطفال أو يصطحبهم للتسول في الشوارع يأتين عملا شائنا مؤلما خاليا من
الرحمة والانسانية ، فيه كثير من القسوة على الأطفال ، مؤذ اجتماعيا ، لأنه يعود هؤلاء على
التشرد وممارسة التسول من صغرهم . وفيه مذلة لنفسهم لا نجد له مثيلا في أى بلد آخر .

سليمان عزمى

في مفرق الطريق بين القومية والعالمية

بقلم الأستاذ سيد قطب

قررت الحكومة إباحة استيراد البرتقال من الخارج في الموسم القادم بعد أن كانت قد منعت منذ سنوات ، فابتهج لهذا القرار ملايين من المستهلكين ومعظمهم من الفقراء الذين أعجزهم الغلاء الفاحش في هذه السنوات عن استكمال غذائهم ، وخرمهم حتى تلك الفاكهة الرخيصة فاكهة البرتقال . واحتج على هذا القرار بضعة نفر من أصحاب مزارع الفاكهة الذين عاد عليهم منع الاستيراد بالفائدة العظيمة طوال هذه السنين ، ولا سيما سنوات الغلاء .

وكانت حجة الحكومة في إباحة الاستيراد من الخارج أن الأسعار هنا وصلت — بسبب قلة الفاكهة — إلى حد لا يستطيع معه الفقراء ولا ذبوا الدخل المحدود على العموم أن يشتروا شيئا من الفاكهة لهم ولأبنائهم ، بينما أسعار بعض الفواكه في بلاد متاخمة لنا زهيدة جدا ، بحيث لا تصل بعد تكاليف شحنها إلى ربع الثمن المحلي في مصر ، وأن هذا يحتم فتح باب الاستيراد تيسيرا على هؤلاء الملايين من المستهلكين ، ولو تضرر عشرات أو مئات من أصحاب مزارع الفاكهة .

أما أصحاب المزارع فراحوا يحتجون بأن ” المصلحة القومية “ تقتضى إفساح الطريق للفاكهة المحلية لتشجيع الملاك على الإكثار من زراعة أشجار الفاكهة ، وأن هذه المصلحة القومية تقتضى كذلك عدم إخراج النقود من مصر بشراء الواردات الأجنبية .

وهذا القرار بما أثاره من خلاف بين وجهتي النظر يثير مسألة أساسية أكبر من مسألة البرتقال والفاكهة . تلك المسألة هي : أى السياستين أصلح للمستقبل : سياسة الحماية الجمركية للإنتاج المحلي ولو أدت هذه الحماية إلى ارتفاع الأسعار وزيادة التكاليف على المستهلكين ، أم سياسة التجارة الحرة المؤدية إلى خفض الأسعار ولو نشأ عن ذلك بعض الضرر للإنتاج المحلي .

فأما نحن فلا تردد — حين يكون وضع المسألة كما هو في حكاية البرتقال — في أن نؤيد قرار الحكومة ، وفي الألتقى بالناس إلى حثهم على زراعة الفاكهة الواهية ولو ارتدت ثياب المصلحة القومية ، ذلك أنه من المصاحبة العامة أن يستطيع المستهلكون — ومعظمهم من

الفقراء — الحصول على حاجياتهم — ولا سيما الغذاء والكساء — بإيسر التكاليف ، ولا عبء بمصلحة بضمة نفر من أصحاب رؤوس الأموال الذين يهمهم وحدهم الحصول على أكبر ربح ، ولو كان ذلك سببا في تصعيب الحياة على الملايين ! .

نعم قد يجوز التردد أمام الأخذ بإحدى السياستين ، إذا كانت هناك صناعة محلية قائمة تستغرق كثيرا من الأيادي العاملة ، ولو تركت بغير حماية جمركية تموت وتتعطل الأيدي العاملة فيها . ففى هذه الحالة يقف الإنسان للموازنة بين النفع الذى يعود على المستهلكين لو ترك باب الاستيراد مفتوحاً فانخفضت الأسعار بسبب المنافسة ، وبين الضرر الذى يحمق بالأيادي العاملة من التعطل لو ماتت هذه الصناعة القائمة . وعلى نتيجة الموازنة يبنى اتخاذ سياسة معينة .

أما فى مثل حالة استيراد الفاكهة فهذه الموازنة لا معنى لها إذ أن زراعة الفاكهة لا تستغرق من الأيادي العاملة أكثر مما تستغرقه الزراعات الأخرى ، فالضرر الذى يعود من الاستيراد مقصور على بضع عشرات أو مئات من زراع الفاكهة ، وهؤلاء لا تساوى مصلحتهم الصغيرة المحدودة شيئا أمام المصلحة الكبيرة المحققة للجماهير التى تعد بالملايين .

وحين تتعارض مصلحة ملايين من الناس مع مصلحة عشرات أو مئات فإن أية سياسة اجتماعية رشيدة لا بد أن تفضل مصلحة أولئك على مصلحة هؤلاء ، وهو ما قامت به الحكومة المصرية حين قررت إباحة الاستيراد .

يجب ألا نخذعنا صيحات رؤوس الأموال التى تموه مصلحتها الخاصة وتلبسها رداء القومية والوطنية ، فالقومية التى لا ينال الطبقة الفقيرة منها إلا (نعيمها) كما يقولون — هى قومية زائفة وتمويه يجب ألا يخذعنا عن حقيقة البواعث الشخصية لهذه الصيحات .

والمثل الحاضر فى استيراد البرتقال شاهد وواضح على ما نقول . فلقد كانت العشر البرتغالات تباع بقرش على الأكثر فأصبحت الواحدة بعد حظر الاستيراد تباع بقرش على الأقل ، ولم يستفد من هذا الغلاء إلا أصحاب مزارع الفاكهة وتجارها وهم طائفة محدودة قليلة العدد وعاد الضرر على المستهلكين الذين كانوا يجدون من هذه الفاكهة الرخيصة تكلة لغذائهم تحوى بعض الفيتامينات والأملاح المفيدة .

وقد نشأ قرار حظر الاستيراد فى السنوات للماضية بناء على دعوى (المصلحة القومية) وهذه المصلحة لا تنهى فى مثل هذا الوضع إلا فائدة رؤوس الأموال على حساب الشعب المحروم .

وقد يقال : إن هناك رؤوس أموال أجنبية تنتفع بإباحة الاستيراد كما تنتفع رؤوس الأموال القومية بمنعه ، وهذا صحيح . ولكن الفارق بين الحالتين ، أن الشعب يستفيد

في الحالة الأولى بخصا في الأسعار وتخفيفا في الأعباء ويمكن من التغذي بقفا كهة مفيدة وأنه في الحالة الثانية يحرم من كل هذه المزايا .

وهنا نصل الى مفروق الطريق بين القومية والعالمية ، ونواجه المسألة وجها لوجه . ويجب أن نكون صريحين في مواجهتها ، وألا نخدع بالجميع المزيفة عن المصالح القومية . أى يجب أن نقول ، ان مصلحة رءوس الأموال هي مصلحة موحدة في العالم بالقياس الى الطبقات الفقيرة ، وأن كل ما يسهل الحياة ويسر تكاليفها على الفقراء يجب أن يؤخذ به ، دون أن يؤبه لحكاية المصالح القومية المزيفة التي يحتج بها في مثل هذه الأحوال ، كما احتج بها في مسألة استيراد البرتقال .

ولقد أحسنت الحكومة صنما في أنها لم تصنع لماذا الكلام المزيف عن المصلحة القومية الموهومة ، ولم تأخذ بكلام أصحاب مزارع الفاكهة ، وهي بهذا ترجح مصلحة المستهلكين وهم يعدون بالملايين على مصلحة الملاك والتجار وهم حفنة لا يقاس عددها إلى أولئك الملايين . نعم توجد حالات يكون من الخير فيها أن يتحمل المستهلكون بعض المصاعب في ارتفاع أسعار البضائع المحلية . وذلك في حالة واحدة أشرنا إليها فيما تقدم ، تلك أن يرجح خير الطبقات العاملة في صناعة ما على الشر الذي يصيب المستهلكين من ارتفاع السعر ، وهي حالة قليلة الوقوع .

وقد لا يكون الرخص وحده مزية ، فقد يكون في بقاء صناعة محلية وحماتها من المنافسة رفع مستوى طبقة من طبقات الشعب تنتج أو تستفيع ببقاء هذه الصناعة لأنها تدفع أجورا عالية لعدد كبير من العمال أو تستهلك محصولا يتقاضى العاملون فيه أجورا مناسبة . ففى هذه الحالة يكون من الخير أن يساهم المستهلك في دفع هذه الأجور بالاقدام على استهلاك الصناعة المحلية العالية ، لأن دفع أجور عالية يساعد على التوازن بين الإيراد وبين ارتفاع الأسعار .

أما منع الاستيراد أو رفع الرسوم الجمركية لحماية محصول أو إنتاج محلي ، لا يستفيد من حماية إلا رءوس الأموال ، أى العدد القليل من المساهمين أو المنتجين ، فعمل لم تعد حجة المصلحة القومية تبرره ، وما هذه إلا ستار للمصالح الخاصة على حساب المستهلكين المساكين .

وكل من يجعلني أدفع في البرقالة الواحدة قرشا بدل المليم ، وفي رغيف الخبز قرشا بدل نصف القرش ، وفي متر الكساء جنيها بدل ربع جنيه ، لا لشيء إلا لستيفيد بضع عشرات أو مئات من أصحاب رءوس الأموال ، ثم يحاول أن يموه على باسم الوطنية والقومية إنما يفشنى ويخدعنى ، ويستخدم الوطنية والقومية ستارا لأغراض شخصية ، ليس الشعب مكافأ بتحقيقها وتحمل نتائجها ، ومن واجب الحكومة أن تمنعني من هذا النفس ، وتعمل على تيسير الحياة لى من أتى طريق كما صنعت في مسألة البرتقال .

وقد يقال : إن رأس المال الذى ينتفع بالحماية والحظر هو رأس مال قومى ، وأن رأس المال الذى ينتفع بالحرية والاباحة هو رأس مال اجنبى ، وأن مصاحبة الاقتصاد القومى تقتضى تفضيل الحالة الأولى على الحالة الثانية .

ولكن هذا منطق قديم لا نعتقد أنه يتفق مع العالم الجديد . العالم الذى سيتقوم على الحريات الأربع وفى مقدمتها : التحرر من الجوع . فحين تصل المسألة إلى المساس بالغذاء والكساء من ضروريات الحياة تسقط كل حجة حتى حجة القومية ذاتها ؛ فالقومية لا يجوز أن تحرمنا من ضروريات الحياة . والوضع الذى ييسر الحياة على ملايين الفقراء ويرفع مستوى حياتهم هو الوضع المطلوب قبل كل شئ بالنسبة لهؤلاء الفقراء .

والقومية يجب أن تحاول التوفيق بينها وبين المصلحة العامة ؛ لا أن تتحقق على حساب الملايين من السكان ، ولحساب بعض الألوف منهم فى النهاية . وهؤلاء القلائل الذين يطالبوننا أن نحقق المصلحة القومية يجب أن يشتركوا معى فى معارم هذه القومية وألا ينفردوا بمغانمها ، حتى إذا همت الحكومة بأى إجراء يحقق العدالة ، صاحوا باسم القومية ضد هذا الإجراء !

بعض الصناعات والمنتجات المحلية تدر أرباحا هائلة على العدد القليل من المساهمين فيها أو القائمين بها ، وهى تباع للمستهلكين بأسعار عالية تحقق هذه الأرباح الهائلة ، ولو بيعت هذه المنتجات بنصف السعر الذى تباع به لأدرت على المساهمين أرباحا معقولة . وهؤلاء المساهمون هم الذين يطالبون المستهلكين باسم القومية أن يستهلكوا منتجاتهم ويفضلوها على الواردات الأجنبية أو يطالبون الحكومة بحظر الاستيراد أو رفع الضرائب الجمركية بقصد الحماية . أفليس من القومية أن يقللوا هم من أرباحهم بعض الشئ بخفض الأثمان أو برفع أجور العمال المنتجين ؟ وهل تقف حدود القومية عند تمثيل المستهلك باهظ الأسعار لتحقيق أرباح عالية لبضع مئات أو عدة ألوف ؟

لقد ظلت صيحة الوطنية والقومية تمود علينا الحقائق فيجب أن ننبيه الآن لها . وتصرف الحكومة فى مسألة استيراد البرتقال مثل لهذا الانتباه ، فينبغى أن تكون لنا سياسة عامة تتوافر فيها هذه اليقظة ، وأن يتجه عمنا كله إلى تيسير الحياة على الفقراء . إما بخفض الأسعار أو برفع الدخل ، فإذا تعارض هذا مع مصلحة رءوس الأموال القومية أو الأجنبية فيجب أن نجد فى أنفسنا الشجاعة الكافية لمقاومة الصياح باسم المصلحة القومية كما وجدناها ونحن نقرر إباحة استيراد البرتقال

الإسراف فى طبقات العمال

الكسب المؤقت خطر شنيع

للأستاذ فايد العمروسي

أظن أن أجر " الترام " فى الدرجة الأولى شىء ليس بالعسير ، وأن فى مقدور الذين تعودوا أن يركبوا " الترام " أو غيره أن يدفعوا هذا الأجر دون مضايقة لجيوبهم أو إرهاق لميزانياتهم ، ولقد كنت يوماً من هؤلاء الذين لا ترهقهم هذه الملايم الزائدة فقصدت — كعادتى — إلى الدرجة الأولى فى الترام ، فإذا " بالصالون " ستة أشخاص ، وكلهم يلبس ستره العمل على اختلاف أنواعه ! ! ولقد حسبت أنها صدفة من الصدوف التى تقع تحت العين فى مظاهر الحياة اليومية ، أو أنه نوع من التذلل ولو مرة فى الأسبوع أو الشهر لهذه الطوائف التى ما تعودت فى بلادنا إلا شطف العيش وقسوة الحياة ، ولكن هذه الصدفة تكررت وتكررت فى كل يوم ، وفى كل ترام ، وفى كل وسيلة من وسائل النقل من سيارة وعربة وإقطار ! ! فأيقنت أن هذه الظاهرة التى حسبتها أول الأمر مصادفة وتذلاً ما هى إلا عادة لهؤلاء الطوائف ولدتها ظروف الحرب بما فيها من عمل ومكسب دائم لا يتقطع ليلاً ونهاراً !

وليس من حق أن أظن أو أعجب لمثل هذه المظاهر ، فطوائف العمال قوم أنا أحبهم وأجلهم وأعطف عليهم وأتمنى لهم ولأسرهم كل خير ونهوض ، ولقد فطنت الحكومات المتعاقبة إلى ضرورة تحسين أحوالهم فزادت فى أجورهم ونظمت أوقات عملهم وسنت القوانين الصارمة التى تحميهم من استبداد أصحاب الشركات وأرباب الأموال ، ولست بصدد تعدد ما صنعتته الحكومة لهم إلا بقدر هذه الإشارة الخفيفة ولكنى بصدد تحجيل نفسى لحالة هذه الطوائف فى مظاهرهم الحاضرة تلك المظاهر التى طفرت بهم من السير على الأقدام ، إلى ركوب الترام فى الدرجة الأولى ، ثم إلى ركوب السيارات والعربات ، ثم إلى ارتداء الملابس الأفرنكية ، وكل هذا فى إسراف وبدخ وبدل لا يتفق مع الحكمة والتصرف لأشغالهم . . !

سمعت حديثاً من بعضهم — وكنت فى سيارة عامة — خرجت منه على أن ثلاثة منهم سيتناولون طعام العشاء فى مطعم نخم بالقاهرة أخشى أن أشميه فيكذبنى القراء ! ! وفهمت منه أن هؤلاء الثلاثة أنفسهم سيفتضون سهرتهم بعد العشاء فى سينما " الكورسال " !

وسمعت حديثا آخر من جماعة آخرين أن كل واحد "فصل بدلة" ثمنا اثنا عشر جنيها واشترى حذاء ثمنه جنيهان وأشياء أخرى يختلف ثمن الواحد منها من جنيته إلى نصف الجنيه ، هذا ما سمعته أذنأى من قوم لا أعرفهم ، ومن كلام ليس فيه سمة الكذب ولا طابعه ، وإنما فيه روح الاطمئنان وعدم المغالاة ، وأما ما رأته عينأى ممن أعرفهم ومن لا أعرفهم في مظاهر هذا الإسراف فكثيرون ، وكثيرون جدا !!

وإيس هناك تعليل لمظاهر هذا الإسراف والتبذير في طبقة العمال إلا أمران :

أولها ظروف هذه الحرب واتساع نطاقها مما أوجد العمل الكثير الذى يتطلب أيدى كثيرة بأثمان باهظة وأجور مرتفعة ، ومن هنا وجد العامل النقود تناسب عليه انسيابا يفوق نسبة الغلاء وارتفاع الأسعار !!

ثانيهما شعور هذه الطبقة بالرخاء بعد العسر ، والوجدان بعد الفقد ، فهم إذ يسرفون اليوم في النفقات فانما يعوضون ما ذاقوه من ضنك فى الماضى وحرمان من متع الحياة ، وهم بهذا التبذير ينتقمون - انتقاما غير مقصود - من الطبقات الاخرى الذين تيسر لهم الحياة فى السلم والحرب ، والذين كانوا يشمخون بانوفهم على غيرهم من الطبقات الفقيرة العاملة التى تكذب وتضنى وتتعب تعباً شريفاً مجدياً .

ولن يستطيع مخلوق أن يعترض أو يتكر على هذه الطبقة أن تمتنع وتعيش كما يعيش ويتمتع كل مخلوق فى الدنيا ، فهم أناس تقوم على جهودهم أسس العمران فى الحياة ، وهم القوى النابضة التى بها تنهض الشعوب وتسير فى مضمار الحياة فى تطورها وتقدمها ، وإنما الذى نكروه على العامل أن ينسى الأمل ، ويقفل عن الغد ، ولا يعرف إلا يومه الذى هو فيه ، لو عرف العامل أن حياته قبل الحرب كانت قاسية عنيفة ، وأن ميادين العمل كانت ككرة ضيقة ، وأن الأجور كانت زهيدة شحيحة ، وأن الأيدى العاملة كانت ضئيلة محدودة ، لو عرف كل ذلك لثريت قليلا فى الاندفاع فى النفقات .

لقد كان العامل قبل الحرب صرخة محزنة وأينما ألبما فى كيان الأمة ، كان يتقاضى الأجر الزهيد وهو معلول فيعيش ، وكان يتعطل عن عمله أياما وأسابيع فيعيش ، وكان يفرحه زيادة الأقرش والقرشين فى اليوم فيعد هذا نعمة هبطت عليه من السماء فيلتقاها بالأكف الضارعة إلى الله بالحمد والشكران ، كان يقنع باللباس الممزق ، وبالعيش الفقار ، وبمسيره ساعة وساعتين إلى محل عمله دون أن يتعب أو يسأم ، أو دون أن يبطر ويتدال ، وهذا ما جعله فى نظر الناس والهيئات والحكومات رجلا جديرا بالعطف والرعاية ، وخليقا بالاصلاح والاعتراف بحقوقه المنقوصة حتى نالها أو نال معظمها حين فطنت الحكومة إلى

غبنه واعتدت بحل مشاكه في هذه الظروف . عامل كهذا لو أحس ما كان فيه ثم قارن بين ماضيه وحاضره خليق به أن يتعصد في النعمة فلا يبذرهما وأن يتمتع برزقه الحديد بحكمة وتفكير ! ! .



والعامل الآن ينحدر في تيار الإسراف وهو منحدر الأعصاب يجوبه الملوءة ، هو منبهر بكبرة الأوراق المرققة التي يحشو بها جيوبه كل يوم ، إنه يفكر في يومه فقط ، لقد مات الأئس من عمره فليمت في فكره أيضا ، أنه لا يفكر في الغد ! الغد المعلوم في حساب علماء الاجتماع والاقتصاد وإن كان مجهولا في نظر الفلاسفة والشعراء ! .

أقد قرأنا ما كتبه المؤرخون في وصف العالم بعد الحرب الكبرى الماضية من حيث البطالة والعمل ، فإذا مشا كل العمال هي العقد التي لا تحل ، والتي تعي العلماء والعباقرة وتجهدهم وتستعصى عليهم ، لقد تعطلت ملايين الأيدي العاملة ، وتحولت المصانع الحربية أو بعضها إلى ما كانت عليه قبل فاصبحت لا تفي حاجاتها بمطالب الجيوش المتعطلة ، ومن هنا نشأ الجوع والمرض والفقر والتشرد والإجرام ، بل لقد نشأ الاختلاط ونفشت الأوباء الخلقية بسبب الهجرة وأمثالها مما لا زلنا نعاني متاعبه حتى اليوم ، وبالقياس على نتائج ما بعد الحرب الماضية نستطيع أن نوقن بأن ما بعد الحرب الحاضرة سيكون أقسى وأشد ، بل سيكون البلاء الأليم الذي يززع البشرية ويعم الحياة ويزلزل كان العيش ، وإن المفكرين من العباقرة ليسهرون ليلهم ويقومون نهارهم في الوصول إلى علاج الأزمات والمشاكل التي ينشأ حتما بعد الحرب ، حتى أنهم سموها " مشا كل السلم " .

ومن أهم هذه المشاكل وأعنفها مشا كل العمل والعمال ، ففي اللحظة التي توقع فيها معاهدة السلم العالمي ستقف فورا ملايين الآلات في آلاف المصانع ، فكم من الملايين العاملة ستقف حتما بوقوف هذه الآلات ؟ ؟ إن مطالب الحرب غير مطالب السلم ، وإن نفقاتها وتضحياتها غير نفقات السلم وتضحياته ، وإن الذين يشتغلون اليوم ليلهم ونهارهم فيتقاضون أجورا عالية مضاعفة سوف لا يجدون في المستقبل - إلا القليل منهم - عملا يشغلهم لا ليلا ولا نهارا ، وسوف لا يجدون أجورا بأزهد ما تكون الأجور .

فعل طبقة العمال أن يقتصدوا من اليوم للغد ، وعليهم أن يفكروا في شبح المستقبل الأسود عل في بشاعته ما يخيفهم منه ، وعلهم إذا خافوا أن يمسكوا أيديهم عن البسط المجنون ، وأن يتساجوا بما في أيديهم الآن من الثروة ليواجهوا بها هذا الشبح الخيف سنتين أو ثلاثا على الأقل حتى يبدأ العالم ويتمكن من السير في نظام جديد .

إنى لأحزن وأتململ حين أرى العامل يبغثر كل ما في يده في يومه حاملا أن الغد القريب سيأتي من جديد ، إنى لأتخيل هذا العامل المشغوف بالتبذير والإسراف في هذه الظروف خصوصا عاطلا كئيبا في المستقبل فأحزن وأغتم ، لأنه لم ينتفع من اليوم الأبيض لليوم الأسود كما يقولون ، ولأنه بهره الحاضر بيريقة فعسى عن المستقبل وظلامه ! !

وإسراف العامل في هذه الظروف تصرف مطابق للطبيعة المصيرية كل المطابقة ، فالطبع المصرى مسرف في كل شئ ، مسرف في اليقين والشك ، مسرف في الفرح والحزن ، مسرف في اللهائم والتفائل ، مسرف في الوصل والهجور ، مسرف في كل المتناقضات ، وتبدله من هذا الى ذاك سريع كل السرعة ، ذلك لأنه يتقبل كل جديد بعواطفه وميوله المتعطشة اليه دون إعمال الفكر والتفهم ، وتلك ناحية نقص لا شك في طبائنا قد تمحوها الأزمات والتجارب حين يمر بنا الجليل بعد الجليل ، وحين نستفيد من الثقافات المختلفة والتجارب العملية ما يربى فينا روح التروى والتبصر والادراك والنظر الى العواقب .

وتمت ناحية أخرى خلقها ظروف الحرب أو الكسب المؤقت ، وهي ناحية مؤذية إن لم نتداركها بالعلاج ، ذلك أن كثيرا من الأيدي العاملة الآن لم يكونوا عمالا ولا أرباب مهن قبل الحرب ، ولكن الكسب المؤقت أغراهم فاتتهزوه وتركوا أعمالهم الأصيلة والتحقوا بمادين الأعمال في هذه الأيام ، وهؤلاء يعدون بالآلاف أعرف منهم الموظف الذي استقال والتلميذ الذي ترك دراسته والتاجر الصغير الذي أغلق حانوته والزارع الأجير الذي ترك مزرعته والنجار والحداد والحائك وأمثالهم ، هؤلاء تركوا مهنتهم الضيقة ليشتغلوا عمالا في الدوائر الحربية طمعا في اكتسب المؤقت ، وهذا حسن لا غبار عليه لو أنهم استفادوا في هذه الظروف واقتصدوا بعضا من هذه الفائدة للمستقبل الذي ينتظرهم ، ولو أنهم صنعوا ذلك فاستغلوا القرض وانتفعوا بها وتسلحوا بحجبرها ليواجهوا بها ظروف ما بعد الحرب ما كان في عملهم هذا إلا كل خير ونفع ، وما كان في تفكيرهم هذا إلا كل إصابة وتوفيق .

غير أن المخزن كما قلت إنهم يسرفون ويمعنون في الإسراف ، وأن ما يكسبونه اليوم يذهب بنهاب النهار ، وأنهم يستقبلون كل يوم جديد كأنهم لم يكسبوا بالأمس شيئا ، وهم قوم يؤمنون بالتواكل ويعتقدون أن لكل يوم رزقا جديدا ينزل عليهم من السماء في مواعد كالتى نزلت علي الأنبياء ، وهم متشبعون بالمثل القائل "أصرف ما في الجيب... الخ" والرزق على الله !! ولا تفكر في "بكرة" ولست أدري من أين تشبعوا بهذه الفاسفة وهم غير فلاسفة؟ ولعلهم فهموا خطأ قول المعري إن كان قد سمعوا به :

ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها

ومع ايماننا بأن لكل يوم رزقا جديدا فإنى أحب أن يعلم المتوالكون والمصرفون ، أن الرزق دائما نتيجة للعمل والجهود، وان الشريعة الفراء لتغضب كل الغضب على المتواكلين الذين يشوهون مبادئها العالية بأفهامهم السقيمة ، الرزق لا يهبط على الناس كالجراد يهبط على الحقول ، ولكنه يهبط على الأيدي العاملة ، وينزل على الأفكار التي تميل الى السعى والطلب وتحترم النعمة فلا تبعتها ذات اليمين وذات الشمال ، وفي الحديث القدسي " يا عبدي حرك يدك أنزل عليك الرزق " .

وفي الحديث النبوي " اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا " وفي القرآن الكريم : " ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا " وأحب أن يعرف المصرفون من طبقات العمال في هذه الأيام أنه ليس بمستحيل أن يموت الانسان جوعا اذا هو لم يعمل ؛ واذا هو لم يقتصد من روائه لضيقه ، ولقد حدثنا التاريخ عن ضحايا الجوع بعد الحرب الكبرى وعمما فعله ضيق العمل بالأيدي العاملة .

وأحب أن يفهموا أن " الرزق على الله " هذه جملة لها معنى أسمى وأبلغ مما يفهمون ، وأن الله جل شأنه لا يعطني من عباده المتواكل الجاهل الذي لا يفكر في مستقبله ومستقبل أولاده ، والذي لا يتبصر في الإنفاق بروية وفهم وقناعة !

يعتقد المصرفون من طبقات العمال وأمثالهم ان هذه الأيام فرص للتمتع والتنعم ، وأنها فرص للظهور في عالم المظاهر ، فرص لاقتناص ما كان ممنوعا عنهم في حياتهم الأولى ؛ وكانهم قد آمنوا بمن قال :

تمتع بها ما ساعفتك جدودها فإكل حين صفوها لك شامل

والواقع أن هذه الأيام فرص لهم ولأمثالهم ، ولكنها ليست فرصا للتبذير والبعثرة بحساب وبغير حساب ، وإنما هي فرص للانتفاع والاقتصاد للأيام المقبلة كما قلت ؛ وهي فرص جقا ينتفع بها العمال في الشعوب التي تعرف كيف تتحين الفرص الذهبية ، وكيف تستفيد من تقلب الأحوال والأوضاع الدولية في كل العصور .

وأظن أنه ليس من الخير أن تترك هذه الطوائف وأمثالها في انحدار الاسراف والتبذير وأن من الحكمة أن يقوم المفكرون بتبصيرهم الى الطريق التويم وأن يرسموا لهم أوضاع المناهج التي يسلكونها في هذه الأيام لتفقيهم من شر المستقبل القريب .

وأرى من الوسائل التي قد تبصر هذه الطوائف بالحقائق وتحدد من اسرافهم ما يأتي :

أولا - الكتاب الذين يعالجون المشاكل الاجتماعية في هذه المرحلة عليهم معظم المسئولية في توجيه هذه الثنات وتنوير أذهانهم وفتهم الى ما يجب أن يتبعوه في هذه الظروف وإن

جنون الاسراف فيهم لمن أخطر المشاكل الاجتماعية ، التي يجب أن تعالج من الآن لأنها لو تركت لاستفحلت يوما بعد يوم ، ولتفاقم ضررها الذي قد يستعصي على المفكرين فيما بعد ، وأن الصحف الأخرى بما فيها من هيئات تحريرها وإشراف على الشؤون العامة لمسئولة أيضا عن معالجة هذه الحالة التي برزت بروزا شديدا في هذه الأيام .

ثانيا - الاذاعة عامل مهم وأهم الوسائل في إيصال الإرشاد الى هذه الطوائف ؛ والمذيعون الذين يلقون علينا كل يوم محاضرات عن العالم في اسبوع مثلا هم أولى الناس بأن ياتفتوا الى هذه الناحية وأن يناولوها في موضوعاتهم ، وأظن أن قسم الاذاعة بوزارة الشؤون الاجتماعية ليتحمل النصيب الأكبر من هذه المسؤولية ، فعليه أن ينظم اذاعتين كل اسبوع على الأقل توجه الى طبقات العمال ومن في مستواهم ممن يكسبون بلا حساب ويسرفون بلا حساب على أن تكون الاذاعة في مستواهم الفكري ؛ وأن تحتوى على أرقام واحصاء ومقارنة ومثل من الحرب الماضية لتكون عبرة لنا في هذه الحرب .

ويجب أن يحتم على المصانع أن يكون في كل منها جهاز استقبال لهذه الاذاعة ، وأن تكون الاذاعة في وقت العمل نهارا أو ليلا حتى يسمع كل عامل ما يلقي عليه من الارشادات ، وفي الواقع إن العامل في هذه الأيام لقي حاجة الى قيادة تنظم حياته المادية حتى نأمن عليه الثور في المستقبل الذي ينتظره .

*
*

ثالثا - خطباء المساجد والوعاظ مسئولون أيضا في هذا الصدد ، وما أجمل لوفطن خطيب الجمع الى هذه الناحية فيعالجها علاجا دينيا واضحا ، ثم يوجه خطبته الى المصلين في إرشاد ونصح ، وإن تأثير خطب المساجد في نفوس السامعين ، إذا كان الارشاد عمليا لا يبلغ أثرا وأعمق نفعا إذا كان له مساس بحياتهم وفيه حرص على مصالحهم الدنيوية ، وواجب الوعاظ الدينيين الذين يعظون الناس في المساجد والمحافل العامة جزء من هذه الوسائل التي يجب أن نعتني بها ونبرزها نشطة حارة في هذه الظروف الدقيقة الخطيرة .

وإذا حسن للحاضرين أن ينشئوا بحوثهم في الأدب والفن والتربية وأمثال هذه الشؤون فإنما يجمل بهم ويحسن كل الإحسان أن ينشئوها أيضا في هذه المشكلة وأن ينظم في كل اسبوع محاضرتان على الأقل في المننديات ، وأن يدعى اليها العمال للاستماع والانتفاع .

رابعا - عرض الأفلام في دور الخيالة بحيث تكون خاصة بحياة العمال في الماضي والحاضر ، وبحيث تحتوى صورا ناطقة بحياتهم بعد الحرب الماضية ، وأن يكون مغزاها واضحا في أذهان المتفرجين ، وأن تشمل قصصا واقعا أو موضوعا لنتيجة الإسراف والتبذير

حتى يكون ذلك العرض شبيهاً مخيفاً في نفوس المسرفين ، وعلى هذا التحذير مانع من اليد أن تبعث ، وموقف للعقول التي تترشح بنشوة الكسب غير المحدود غافلة عن مستقبلها المتظر ناسية ماضيها القريب .

خامساً - نظام الادخار في الشركات ، وذلك بقوانين تسنها الحكومة وتفرضها على أصحاب العمل والعمال باقتطاع نسبة خاصة من الأجور تحفظ لكل عامل باسمه وأن يكون هناك من القوانين ما يضمن انتفاع العامل بها بعد الادخار ، وما يطمئنه على ردها اليه كاملة غير منقوصة ، وما أظن إلا أن العمال سيغضبون بنظام كهذا ما دامت فيه مصلحتهم ، وفيه شيء اسمه " نقود " ستحفظ لهم وترد اليهم ولو طال عليها الزمان .

ويتساوى في هذا وذاك من الوسائل نظام التأمين الجبري أسوة بالعمال في البلاد الأوربية ونظام فرض ضرائب تسمى ضرائب الادخار تكون بنسبة خاصة في الأجور العالية ، وهذه تتولاها الحكومة كنظام مالي يشبه نظام " المعاشات " لموظفين ، وما أظن أن عاملاً يمانع في عمل كهذا يحفظ له ولأسرته حياته ، ويقية شر تطورات الزمن ، ويطمئنه على مستقبله حين تتعطل يده أو تضمحل قواه .

وقابات العمال تستطيع بمساعدتها إبراز هذه الوسائل والنهوض بها المصلحة العمال وتستطيع في الوقت نفسه بما لها من نفوذ أن تهيب العمال لقبول هذه المقترحات ، والقبابات التي كانت في الماضي تطالب برفع الأجور للعمال عليها الآن وقد ارتفعت الأجور بما قرره الحكومة وبما أحدثته ظروف الحرب ، عليها الا تغفل عن حياة العامل المادية المبعثرة الآن دون حساب ، وهي في سعيها أن تقترح لهم من النظم ما تشاء وأن تطلب موافقة الحكومة عليها بحيث تكون هذه النظم في دائرة معقولة تضمن لهم ادخار شيء مما يكسبونه الآن وتمقف من تيار هذا التبذير الجارف والاسراف المفقوت .

هذه كلمة لا بد منها خلقها الإسراف في الطبع المصري الذي نشاهده الآن واضحاً جلياً في حياة العمال المادية ، بل في حياة الفقراء عامة ممن يكسبون الكسب المؤقت في هذه الظروف ، ولعل ما فيها من وسائل العلاج يلفت نظر المسؤولين إلى التفكير في هذه المشكلة ، ولعلهم أن يعملوا بها إن وجدوها صالحة ، وإلا فلا أقل من أن تكون نواة يقوم عليها الإرشاد والإصلاح .

فايد العمروسي

نبوغ شبابنا بين عامل الكفاح والتشجيع للاستاذ صلاح الدين الشريف

أحسبك تذهب معي يا صديق ، الى أن شبابنا المصري موهوب بطبعه ، وأن الكثيرين من أفرادهم أظهروا نبوغهم الكامل عندما زاولوا أعمالا كبيرة كنا نحسبها وقفا على غيرنا من قبل ... ولكنهم أتقنوها إتقان من طال عليهم بها العهد ، فشقوا طريقهم الى النجاح ، بعد أن ملأت قلوبهم الثقة ، وآمنوا بمستقبلهم ، وجعوا النجاح لهم ديننا وعادة .

ولكني أرى الى جانب هذا الفريق الناجح ، فريقا آخر فاشلا ، يلتوى به الغصد ، من رغبة الى رغبة ، ويتذبذب بين عمل وعمل . وما أسرع ما تخونه الثقة بالنفس ، حتى لتجمد ملكاته وتتطفئ جذوة حماسه ، ولما يبدأ المرحلة الأولى في حياته ، فهبل تراك محذئي عن سر هذا التفاوت بين الفريقين ، وتكشف لي عن سبب هذا الازدواج في وضع الصورة ، ومادتها على ما أحسب واحدة ألوانها ، لا نكران في انسجامها وتوازنها ؟

الواقع ، أنني أذهب معك ، الى أن شبابنا لا يعوزه النبوغ ، ولا تنقص ملكاته الكفائية ، وأنه من أجل هذا ، مستطيع أن يشق لنفسه ، طريقا سويا الى النجاح ... ولكن ألا تذهب معي الى أن النجاح ، حقيقة مركبة ، لها عناصرها ... ، أو قل ، أنه هدف موموق ، قد يقرب ويدنو ، وقد يبعد ويشط ، على حسب السبل الموصلة اليه ، ومدى حفظها من السهولة أو الصعوبة ؟ ...

اجل ، ان السبل موجودة . واختيار إحداها ، أو التفضيل بينها ... قد لا يبدو صعبا البتة . ولا سيما ، إذا درس الشاب ، حقيقة رغبته ، وقاس حدود طاقته ... ولكن مجرد تفضيل السبل الذي يقع عليه اختياره ، لا يكفيه ليواصل خلاله السير ، ويمد على طوله انحلطو ... إذ ثمة أيضا ذلك الاكسير السحري ، الذي ينسبه متاعبه ، ويذيقه حلاوة كل خطوة يخطوها ، مقتربا من هدفه . وأعني به "روح التشجيع" ، الذي من حقه أن يلقاه في بيئته . فهو محك الكفائية ، ومقياس التجربة . وهو الذي يسوس أعصابه ويكيفها وفق ما يريده صاحبها ... وهو بعد ، الذي يسهل عليه مشاق العمل ، ويحقق له نجاحه ، ويدنيه بسهولة من مأموله ... ولكننا نتلفت ، لتجسس اثاره من هذه الروح الطيبة ، روح التشجيع ، فلا نفوز بباطل .

ولكم يحز في نفوسنا ، أن نرى جمهرة الشباب عندنا ، محرومة منها . فشبابنا ، منذ أن ينشأ في بيئة البيت ، الى أن يشب في محيط المدرسة ، الى أن تدب به الرجل ، بين وعور الحياة

في المجتمع ، لا يلقى أمامه التشجيع ولا يدوق له طعماً ! ... فهنا اعترفنا بهذا الوضع الشائه ، وعكفنا على فلسفة التشجيع هذه ندرسها ، لنحققها ، ونذيق أطفالنا وشبابنا حلاوتها وعذوبتها ! .

نعم . لا أستطيع أن أنكر هذا الذي اتهمت اليه . فنحن شباب هذا الجيل ، قد ذقناه واكتوينا به . ولكن ما لا أستطيع أن أقنع به ، هو أنك عزوت الى هذا العامل وحده ، كل السبب فيما يلقاه بعض شبابنا ، ولا سيما في محيط العمل الحر من قسلة وخيبة .

اننى يا صديق ، إذا فهمت أن عامل التشجيع ، عنصر لا بد منه ، في نجاح شباب الأعمال الحكومية مثلاً ، وهى التى يتعدد فيها الرؤساء ، ويكثر المشرفون على العمل ... أو قل ما يجرى مجرى هذه الأعمال في محيط العمل الحر ، كالشركات الكبرى ، والبيوت المالية المنظمة ، فاننى مع هذا لأرى وجهها ، لفهم هذا الأمر ، في غير هذا المجال من مجالات العمل الفسيحة الأخرى ، وهى التى يعتمد المرء فيها على نفسه ، ويكون بفكره وجهه ، ورأسه ، برنامج العمل ، ويحدد أهدافه ثم يمضى في الحياة وحده ، لتحقيقه ، واجتاء ثمراته .

فيقبنى إذن : . أن مثل هذا الشباب ، يعوزه أن يفهم معنى الكفاح ، وأن يشرب به روحه ، لأنه متى فهمه وأدركه ، شجع نفسه بنفسه ، وامتلأ ثقة ، بأنه لا بد فائز بأغراضه كلها أو بكثير منها على الأقل .

هذا الكفاح ، يقوم في الواقع على مبدئين :

أولها : أنه يجب أن نعتاد النجاح عادة ، فنبدأ مثلاً بالأعمال السهلة ، المتواضعة ، ولا نأنف منها أو نستنكرها . . فلقد ولى زمان هذه النظرة البلهاء ، وانطوت صفحاتها . . ثم نتدرج منها إلى الأعمال الأكثر صعوبة ، متى نجحنا فى الأولى . وهكذا ، تظل الثقة فى نفوسنا تتجمننا وتؤنسنا بوحيا .

وثانى المبدئين : هو ألا نعمل عملاً نكرهه . لأننا عندئذ ، نقيم فى أنفسنا صراعاً بين الهوى والأوجب . . هذا الصراع يستنفد بالطبع مقداراً كبيراً من قوة أعصابنا ، حتى أن جهد ساعة منه يقوم مقام الجهد الكامل . فتكون النتيجة أن نعيأ بالعمل البسيط ، ونصبح مهمومين مجهدين ، حتى ولو كنا فى فراغنا لا نجد ولا نعمل .

ولكن من ذا الذى يتكرأن الكفاح لا بد منه ! ؟ . إنما ذهب يا صديق فيما قلته لك إلى أن هناك خطوة رئيسية قبل مرحلة الكفاح هذه . أو أن هناك دوراً تمهيدياً . وإذا شئت أن أصدقك رأى قلت أن مبدئى هذا ، ليس خطوة أولى ، بل دوراً تمهيدياً . فحسب ، بل إنه بمثابة العنان الذى يوجه المرء فى كفاحه .

كيف بالله ، تخلق الرغبة أو الهوى ، وأنت محروم من الشعور بلذة ما تعمل ، معصوب العين عن المصير الذى تهدف بهملك نحوه .

إن مثل هذا الشاب الذي حرم الرغبة ، وسلب الغاية ، لكلالة تساق سوقا دون أن تدرك لعمليها وردا ولا صدرا ! . وإلا فكيف اعمرى تحفز الرغبة بغير التشجيع ! . أو كيف تنشق الغاية بغير هذا " الاكسير " ؟ ! .

لا زلت أؤكد أن عنصر الكفاح هو رأس مال النجاح في هذه الحياة التي تتطاحن فيها الملكات ، وتتعارك بين أمواجها الكفاحيات . والكفاح بطبعه يتقاضى الشاب أن يؤمن بنفسه أولا حتى ولو عدم تشجيع الغير وأضحى منكور الحق في نصيبه العادل من هذه الحياة . يجب على الشاب ، في أي ميدان من ميادين العمل نزل إليه ، أن يتعلم جادا استقلال النفس حتى واو لم يلقنه في بيته ولا معهده ، وأن يعتاد الاعتداد على ذاته وحدها ، حتى ولو وجد الامر في بادئه شاقا وعسيرا .

فاذا قدر له أن يختار عملا ما ، ولو كان بعيدا عما درسه في المدرسة أو الجامعة ، فأول خطوة يخطوها ، هي أن يقف تماما على مدى رغبته ومقدار ميله إليه ، ثم يدقن غايته ويعين السبل المعقولة التي توصل إليها ، ويبدأ على شرحها لنفسه في ثقة العارف المطمئن ، فان هذا أقمن أن يعينه على توضيح أفكاره وحث خطواته إلى ما يرجو ويطلب .

وبالطبع ، لا أنكر أن التشجيع حثيا وجد يعد حافزا من حوافز النجاح في كثير من الأعمال حتى تقارب حد الكمال ، فيكسب العمل ، ويكسب الشباب ، ويكسب المجتمع بمكسب الاثنين .

إذن اتفقنا ، وأحسب ألا وجه للتناقض فيما ذهب كلانا إليه ، فالتشجيع والكفاح عنصران أساسيان لنجاح الشباب في الحياة . وآخر ما يمكن أن أقوله في النجاح " هو أنك إذا رغبت في شيء تمام الرغبة ، وشجعت نفسك عليه التشجيع كله ، وكألفت من أجله كفاح الرجولة المؤمنة بنفسها ، لم يعد هذا الشيء ، وإن بدا لأقل وهلة معجزا ، مستحيلا من المستحيالات ، فانك لا بد بهذا كله محقق رغبتك مؤكدا كفايتك " .

هذه نصيحة طيبة ، ونظرة الى أمور الحياة صائبة . وإذا كان لي أن أضيف شيئا إلى ما قلت ، فهو نصيحة أخرى ، تجدى هذا الشباب المنهوك القوى ، المتمتع الوجوه ، إذا حرص على وضعها نصب عينيه . هذه النصيحة هي أن لكل شاب طاقة ، لا يجمل به أن يعدوها ، وإلا أجهد جسمه واتلف أعصابه وأثبت به الطريق دون غايته .

نعم إن في أعصابنا قوى مدخرة . ولكن حذار حذار من المساس بها ، إلا في الأزمات الشديدة التي تتقاضانا جهدا استثنائيا فأنمسك على تنبيهها وارهاقها ، حتى نجد منها بعد ذلك ذخيرة. تعيننا على العمل اليومي وعلى الأمل المتجدد ، وعلى توسيع نطاق الأعمال عند الترفيق والنجاح . ويدخل في هذا أيضا حفظ الجسم من كل ما يفت فيه من معاول الرذائل المختلفة التي كثيرا ما يرون إليها الشباب ، متفتح الجوارح ، ثم يعلم بعد أن تضنيه نهكة الجسم ، أنه فترط في شيء أن يعود وبدد كثر لا يرجع .

صالح الدين الشريف

ملاحظات غابرة :

- ١ - الحاجة والأمانة
- ٢ - التبرعات الشعبية
- ٣ - مصرى كريم
- ٤ - وسائل الإرشاد فى الريف
- ٥ - الدقة فى تصميم المشروعات

(١)

كنت أقرأ فى كتاب "مذكراتى فى نصف قرن" للرحوم أحمد شفيق باشا فاستوقف نظرى حديثه عن أمانة السويسريين ، وقد امتشهد بعدة حوادث منها أنه ترك مظنته سهوا ليركب القطار مسرعا ، فلما كشف ضياعها أعلن فى إحدى الصحف عنها فردت إليه وكان أحدهم قد وجدها فسلمها للسلطات ، ومنها أن صبيا فى محل ثجار عثر فى صوان تركه أصحابه للإصلاح قطعة من الماس فردها إلى أصحاب الصوان ... إلى آخر الحكايات التى تدل على أن الأمانة خلق شائع هناك .

ورجعت إلى وصفه للحالة الاجتماعية والاقتصادية فى سويسرا فعرفت أن "الكاس" هناك يتقاضى أجرا يقرب من العشرين جنيها فى الشهر ، وهو أصغر دخل فى هذه البلاد الصغيرة السعيدة .

ولم يعز على أن أرجع بتلك الأمانة إلى أصولها . وهى التربية الصالحة والثقافة العقلية والتهديب النفس ، والرقى الاجتماعى ... ومن وراء هذه العوامل جميعا ، عامل أهم منها جميعا ، ذلك هو العنى ...

فالغنى هو الذى يعصم نفوس السويسريين من التدنى إلى السرقة أو التكتة على اللقى . والشعب هو الذى يمدح بهذا الخلق الفاضل ، والمستوى المادى الرفيع الذى يعيشون فيه ، هو الذى يمكنهم من سمو التسمى والتهديب الخلقى والعقلى .

ولقد رجعت بذكري إلى ما يتهم به بعض المصريين الساكنين من قلة الأمانة ، فتوالت على خيالي تلك الصور البائسة المحتاجة ، وهي التي لا ترحم الأمانة ، ولا تتورع في إخفائها ، فوجدت أن الحاجة هي التي تدفع بهؤلاء إلى هذا الخلق المردول ، وأن الأمانة تقوم على الشيع أول ما تقوم .

ولو أن هذه الجماهير في مصر محرومة من التهذيب والتعليم ، فإنها مظلومة في اتهامها بقلّة الأمانة ، فحوادث رد الأمانات الضائعة في مصر ليست قليلة ، وحوادث العمال الصغار ، والسعاة والفراشون والخدم الذين يعثرون بأثمن الأشياء فيردونها ليست بالحوادث النادرة ولا القليلة .

وإنى لأعتقد أن المصري هو أشد أهل الأرض استعدادا للفضائل الاجتماعية ، وأنه مع الظروف التي تحيط به ، لا تزال هذه الفضائل عميقة في نفسه ، وأن الحاجة هي وحدها التي تخرجه عن فضائله وتعلمه جميع الرذائل التي تشكو منها على الإطلاق .

وفزوا لهذا الشعب ما يحتاج إليه ثم انظروا بعد ذلك في أخلاقه ، وسترونه أفضل الشعوب وأقلها جرائم ومخالفات ... إنه شعب عريق ، ومظم الجرائم الفاشية فيه مصدرها الجوع ، والبقية من هذه الجرائم مرجعها إلى العناصر الدخيلة على العنصر المصري الصحيح ، من هذه الشعوب التي استعمرت مصر على ممر القرون !

(٥٢)

” أنشأ اللورد نفيلد شركة خيرية رأس مالها عشرة ملايين جنيه للتوسع في الأبحاث الطبية ، وترقية المصالح الطبية والصحية ، والبحث التجاري والصناعي ، والعناية بالأشخاص الطاعين في السن وراحتهم “ .

هذا الخبر الصغير في حجمه ، الكبير في معناه ، هو كل الفارق بيننا وبين الشعوب المتحضرة ، بين أغنيائنا وأغنياء تلك الشعوب ، بين نظرتهم هناك للواجب الذي يفرضه عليهم ثراؤهم ، ونظرتهم هنا للتاع الذي يتجه لهم ثراؤهم . وهذا الفارق ياخص جميع الفوارق بيننا وبينهم .

عشرة ملايين من الجنيهات ترصد هناك لمثل هذه الأغراض في مرة من المرات . ومعلم واحد لا يرصد لمثل هذه الأعمال ، ودع ذلك يشكون هناك من ” التناهي في الغنى والتناهي في الفقر “ كما يقول مستر إيدن ، ويعدون العدة لتعديل هذه الأحوال حتى لا يوجد عندهم ” صنف الأغنياء المتعطلين ، حسب تعبير مستر تشرشل .

والمسألة ليست مسألة غنى وفقير ، إنما هي مسألة شعور اجتماعي بالواجب على القادرين نحو العاجزين ، مسألة ضريبة اختيارية يفرضها القادرون على أنفسهم لأنهم لا يستطيعون أن يصموا آذانهم عن سماع نداء الواجب ، ولا أن يعموا أعينهم عن النظر إلى حاجات شعبهم . وأغنياء أوروبا وأمريكا يضربون الأمثال في كل يوم على تبرعات ضخمة من هذا القبيل ، ومنهم "كارينجى" الذى تبرع بثمانية وتسعين مليوناً من مائة مليون من الجنيهات ، ثم استثمر هذين المليونين حتى وصل إلى خمسة ملايين فتبرع بها كذلك بعد وفاته لأعمال البر .

وما من شك في أن أغنياءنا جميعاً سينظرون إلى مثل هذا الرجل نظرة العقلاء إلى المجنون الذى يدفعه جنونه إلى التبرع بهذه الملايين ، ذلك أنهم ينظرون إلى الدنيا من زاوية واحدة هى زاوية المصلحة الشخصية الصغيرة .

وليس أدل على تخلفنا في هذا المضمار من أن مشروع أسبوع البر حينا وصل رقم التبرعات به إلى ثمانية وتسعين ألفاً من الجنيهات هالنا وكبرنا ، وأن مشروع تحسين الصحة القروية حينا ظفر بسبعة عشر ألفاً من الجنيهات عددناه ناجحاً ، وأن يوم المستشفيات وصل إلى نحو أربعين ألف جنيه فحمدنا الله .

وهذه الألوף التى اجتمعت لهذه المشروعات جميعاً كان يمكن أن يتبرع بها مصرى واحد فلا تضر ثروته ولا تؤثر في ميزانيته ، فلدنا عدد من أصحاب الملايين وعدد من أصحاب مئات الألوף . ولكنهم يعيشون لأنفسهم فلا يشعرون بالواجب الاجتماعى المفروض عليهم . ولدينا اليوم مشروع من مشروعات الموسم ، مشروع مكافحة التشرذم ، فى حاجة ماسة إلى التبرعات الشعبية السخية ، والأموال مكذبة فى خزائن أثرياء الحرب ، فلعلنا نرى الأريحية الاجتماعية والإنسانية تدفع بهم إلى التبرع بشئ يرفع رءوسنا أمام الشعوب المتحضرة التى تحب مستر كارينجى والأورد نيلد وأمثالهما من المحسنين النبلاء .

(٣)

وقبل أن نسمى يجب أن نذكر مصرىاً كريماً فى القرن العشرين ذلك هو "سيد جلال" . لقد تبرع هذا الرجل فى كل مناسبة من المناسبات بمبلغ يعد كبيراً جداً بالقياس إلى ثروته ، تبرع لمكافحة الحفاء ، وليوم المستشفيات ، وللطاعم الشعب ... وفى مرة كتب أحد أصحاب الملايين المصرين مقالا حاراً يدعو فيه إلى تيسير الحياة على الفقراء ! فإكان من "سيد جلال" إلا أن ترجم هذا المقال إلى لغة "الشيكات" فتبرع بمئتمنة جنيه ، ولم يتبرع كاتب المقال إلا بالورق والمداد !

وأخيراً يسبق "سيد جلال" بمناسبة مشروع تحويل الدين المصرى إلى نموذج من الوطنية الكريمة لا يخطر لأحد أثيرائنا على بال ، بل ربما عدوه جنونا لا يقل عن جنون "كارينجى" السابق الذكر .

لقد ارسل "سيد جلال" إلى وزير المالية شيكا بالف جنيه ، وقال : إن هذا المبلغ ثمن شراء عشرة من سندات الدين الجديد ، وذلك لإحراقها مساهمة منى في تخفيف عبء الدين عن خزينة الدولة ، وإننى اعتقد أن المساهمة في مشروع تحويل الدين العام لا تكون بشراء سندات القرض ، فإن ذلك عمل راجح يستحق صانعه التهنئة على توفيقه في استغلال ماله على وجه حسن مضمون ، وإنما تكون المساهمة في تخفيف عبء الدين بالاشتراك في تسديده ، وكم تمنيت لو كنت قادرا على أن أساهم بمبلغ أكبر من هذا المبلغ المتواضع ، ولعلى بهذا المثل الصغير أفتح الباب أمام أغنيائنا وأثريائنا لكي يساهموا بعشرات الألوف ومئاتها ، فإن الفرد لا يعد ثريا إذا كانت دولته مدينة " .

وكل تعليق على هذا العمل يعد لغوا ، فإنه ليدون أن هذا الرجل من طينة أخرى غير طينة الأثرياء المصريين ، فهو يحسن الظن بهم لأنه يقيسهم إلى نفسه ، وينتظر منهم أن يقلدوه بأداء بعض ما عليهم للأمة فيتبرعون كما تبرع بعشرات الألوف ومئاتها ، ثم يحسن الظن بهم فيعتقد أنهم يحسون إحساسه الوطنى العالى "بأن الفرد لا يعد ثريا إذا كانت دولته مدينة" !

أيها الرجل الكريم ، ليت لنا من مثلك عشرة فقط ، إذن لرفعنا رءوسنا أمام العالم المتحضر ونحن مطمئنون !

(٤)

يتصدى لإصلاح الريف المصرى في بعض الأحيان جماعة ممن لا يعرفون شيئا عن الريف ولا يتصورون وسائل الحياة فيه .

وهم يجلسون على مكاتبهم المريحة في القاهرة ثم "يتفتنون" في اقتراح وسائل الإصلاح ومن بين هذه الوسائل التى يمتارونها وسيلة الارشاد الاجتماعى أو الصحى أو الزراعى .

فمنهم من يقترح توجيه هذه الإرشادات الغالية عن طريق الراديو ، فيذهب المحاضرون الاجتماعيون والصحويون والزراعيون إلى محطة الإذاعة ، ومن هناك يرسلون أصواتهم بالمحاضرات القيمة المنمقة بعد أن يتعبوا في تمجيرها ويلدروا أنفسهم على إلنائها ، ثم يخرجون مستريحى الضمائر لأنهم أدوا الواجب المفروض عليهم للريف ، وأبلغوا نصائحهم وإرشاداتهم لسكان الريف !

وكل هذا جميل ، لولا شئ واحد بسيط ... وهو أن أهل الريف لم يسعوا بحرفا واحدا مما قيل لأنهم لا يملكون لسوء الحظ أجهزة استقبال !!!

ولكم ضحك وأنا أقلب برامج الإذاعة فأرى فيها حديثاً صحياً لمندوب وزارة الصحة عن النظافة في الريف ، أو حديثاً زراعياً لمندوب وزارة الزراعة عن أحسن الطرق لزراعة الذرة الغويجة ، أو حديثاً اجتماعياً عن العادات الضارة في الريف ، أو حديثاً للفلاحة أو اعلان عن الشؤون الريفية ...

إن هؤلاء لا يسمعون أحداً إلا سكان المدن الذين هم ليسوا في حاجة للحديث عن الريف والذين لا يعرفون شيئاً عن هذا الريف المجهول ، أما الذين توجه إليهم الإذاعات فهم في صمت مطبق لا تصل إليهم هذه الأصوات ، لأن الأثير لسوء الحظ لا يتقبل الأصوات مسموعة إلا لأجهزة الاستقبال ، وأهل الريف لا يملكون من هذه الأجهزة إلا آذانهم التي وهبها لهم الله !

ويبدو لبعض المرشدين من مختلف الهيئات أن ترسل بإرشاداتها ونصائحها لا عن طريق المذياع ولكن عن طريق المنشورات المكتوبة . وهؤلاء أكثر واقعية من أولئك الخياليين ولكنهم ينسون أن أكثر من خمسة وتسعين في المائة من الريفيين هم من الأميين الذين لا يقرءون ولا يفهمون ما يقرأ عليهم بلغة المرشدين .

أيها المصلحون الاجتماعيون الغرباء عن الريف ... إن وسائلكم الخيالية لا تجدي ، فإن شتمت إرشاد أهل الريف فبعلوا إليهم وأقيموا بينهم ، وتعرفوا عيوبهم وأمراضهم ، وخطبوه بلغتهم وطرائقهم ، وكونوا قدوة حية تسعى بينهم . وهذه هي الوسيلة الوحيدة لإرشاد أهل الريف ، إلى أن يفتح الله عليهم فتزول أميتهم ، ويقتنون أجهزة الإذاعة ، ويعرفون الحروف المكتوبة ، وحينئذ خاطبوهم كما تشاءون . أيها المرشدون الخياليون !

(٥)

كنت أراجع بعض الأبواب في مشروع الضمان الاجتماعي المقترح في تقرير السيروليم بيفرديج . فلننت نظري إحدى فقراته التي يتحدث فيها عن تخصيص مرئيات للأطفال في يوم مولدهم ، وكان قد اقترح في فقرة سابقة أن يكون مرتب الطفل الأول سبعة شلنات في الأسبوع وأن يتناقص هذا المعدل بحسب زيادة الأطفال معلا هذا التناقص كما يأتي :

”يمكن القول أنه مهما يقدره الخبراء فإن كل أم تعول ستة أطفال تعرف أن هؤلاء الأطفال لا يكفون ست مررات مثل ما يكفنه الطفل الواحد من طعام وكساء ووقود ، وأنه إذا احتاج الطفل لسبعة شلنات ، على أساس أسعار ١٩٣٨ (أو ٩ شلنات بأسعار ما بعد الحرب المؤقتة) لسد هذه الحاجات ، فإن ٤٢ شلناً لعائلة تعول ٦ أطفال (أو ٥ شلناً بأسعار ما بعد الحرب)

تبدو أكثر من اللازم. والحق أنه ليس من السهل أن يقدر الإنسان في التقديرات السابقة متى يمكن تبرير إجراء إقاص محسوس في التكاليف عن كل رأس لعدد من الأطفال . هذا ويخصص من السبعة الثلثات وهو متوسط ما قبل الحرب ١١/٥ ثلثات للأكل طبقاً لغذاء شخص عادي . وقد يقل التبذير في العائلة الكبيرة ، أما مبلغ ال ١١/٥ شلماً فإنه لا يتسع لأي تبذير . وثلاثة بنسات الوقود هي عبارة عن سدس الفرق المسجل بين عائلة من شخصين وعائلة من ثمانية أشخاص . ويمكن تحقيق اقتصاد ضئيل في العشرة البنسات المخصصة لللبس في العائلات الكبيرة بانتقال الملابس من شخص لآخر . ومتوسط السبعة الثلثات قابل للانتقاد إذا لم يحسب فيه حساب الإيجار ... الخ »

لننتظر نظري هذه الدقة في تصميم المشروع ، التي تلتفت إلى توفير الفرق بين معدل الوقود لفردين والوقود لثانية ، وإلى ملاحظة أن ملابس الابن الأكبر تصلح للابن الأصغر فتقل النفقات في العائلة الكبيرة ، وإلى أن قيمة الإيجار لا تتضاعف بنسبة تضاعف أفراد العائلة . وعمل حساب لذلك كله في معدل زيادة المرتبات بزيادة الأولاد .

فهذه الدقة دليل على أن واضع المشروع لم يلتفت للنظريات وحدها ، ولكنه التزم أدق المشاهدات الواقعة في الحياة اليومية ، ووضع تقاريره الحسابية على أساس هذه المشاهدات الواقعية .

وهذا مثل من أمثلة الدقة في تصميم المشروعات نحن في حاجة إليه كلما هممنا بمشروع إصلاحى ، فلا يجوز أن نعتمد على التخمينات والفروض ، بل يجب أن نعتمد على الإحصاءات والوقائع . وهذا المثل نموذج بارع للدقة المطلوبة في المشروعات .

العناية بالنفس

للاستاذ صلاح الدين الأيوبي

وكيل إدارة البيع والرمز بوزارة التجارة

يجهل كثير من الناس أن ملكات النفس تنمو وتضمر تبعا للعناية بها أو إهمالها . فيظن أحدهم أنه قليل الانتباه أو أنه سطحي التفكير لأنه خالق محدود العقل ولا يمكن أن يغير من طبيعته ، أو يظن أحدهم أنه لنفس السبب ضعيف الإرادة معتقدا أن الله إنما صلب خلقه في هذا القالب صبا بل صب طباعه أيضا فثبتت على سرعة الانفعال مثلا ناذابه من طينة غير طينة ذلك الذي يحتفظ بهادونه في أشد الأزمات .

مثل هؤلاء الناس يهملون العناية بأنفسهم نتيجة جهلهم بما أودعه الله فيهم من الكفايات التي تذوى على مر الأيام وتذبل . ففي أثناء العمل يكونون طبيعيين ويشعرون براحة نفسية نتيجة وجود خطة معينة للعمل ونظام مفهوم ورئيس يتولى التوجيه ، وإكثهم بعد ساعات العمل حيث لا توجد خطة معينة للحياة ولا نظام مفهوم ولا رئيس يتولى التوجيه تعتمد النفس ما يترأى لها من أساليب الحياة ونظمها ويتعاون على تكييفها العقل والحلق والطباع وهي مهملة وملكاتهما آخذة في الذبول .

وما لا شك فيه أن هذا الإهمال كما يعود على صاحبه بالضرر فكذلك يعود على المجتمع ، لأنه يهبط بصاحبه عن مستوى الكفاية التي تتطلبها أعماله فأنى معية وغير متقنة ، وخير عمل يجب أن يقدمه الإنسان لبلاده هو إنقائه عمله مستخدما كل مواهبه وملكاتة في ذلك . ودرجة إتقان العمل لا تعين منزلة العامل فحسب بل تعين عقلية وخلق وطباعه . ناذا بدأ كل شيء معينا ناقصا كانت بواطن الأشياء إنما تعبر عن أشباه الأشياء .

ولا تعبر عن الأشياء ذاتها ، إذا بادرت الأمور بالاعتذار عما كان يجب أن يكون محلها من الصواب والإتقان فما يكون ذلك إلا لأن الناس قد أهملوا أنفسهم :

وإذا أتى زمن الفساد ترى من حيث يصلح يكثر الخطب

ويتساوى مع هذه الفئة من حيث النتيجة أولئك الذين لا يعملون على أن يستفيدوا من هذه الحقائق مع علمهم بها . اعتقادا منهم بأن العمل على محاربة نقائص النفس والعمل على تمية ملكاتها أمر شاق فضلا عن كونه غير ضروري ، ما دام لا يحس بنقائص النفس أو بملكاتها غير النفس لإختبائها في الأعماق عن الأنظار !

فأما السبب الأول فهو أقرب ما يتبادر إلى ذهن من لم يخضع غمار محاربة النقائص النفسية ويزق نشوة الانتصار عليها ، فهذا الاحساس إلى جانب الشعور بزيادة الكفاية الذاتية بما ينيه الانسان من ملكاته يجعل الناحية اللذيذة من المجهود تتغلب على الناحية الشاقة منه . ويمكن اتباع الخطوات الآتية :

(١) افهم مقصدهك جيدا . بين مقصدهك وأهميته . سل نفسك " لماذا يجب على أن أنال هذا المقصد بالذات " .

(٢) لا تتدع نفسك . فانك لا تستطيع أن تنال مقصدا ما لم ترغب بعمق واخلص في نيته . أربط إذن هذه الرغبة بهوايتك .

(٣) حض نفسك على أن تفهم جيدا أن نوال هذا المقصد معناه قبول تغيير جوهرى فى أساليب الحياة . لا تندفع . استغرق من الوقت برهة فى إعداد نفسك قبل تنفيذ أى خطوة أخرى . استهلك بضع دقائق يوميا مدى عشرة أيام فى تركيز قيمة التعبير الجديد . الأعمال التى عليك أداؤها لتحقيق التغيير الجديد . الصعوبات التى عليك تذليلها . المكافأة الآجلة .

(٤) اختر ساعة معينة من يوم معين للبدء فى التنفيذ وارجع فى الاختيار إلى مفكرتك لتضمن أن تكون فى تلك الساعة على أحسن حالة نفسية . ومتى حانت فاهم فى التنفيذ بكل قوة . وتذكر أنك تريح نصف المعركة بحسن البداية . ولا تغفل أن تتخذ كافة الاحتياطات لعدم التوقف كأن تدع جميع أخصائك يعلمون انتقطاعك فى تلك الساعة إلى مقصدهك وهدفك .

(٥) استمر بنظام . فلا تقل لنفسك بعد فترة " لقد عرفت نفسى قويا على نفسى فلا أعد إدراجى به فأن مجرد التوقف بعد فترة قصيرة ضار بأبغ الضرر بتطور الخلق ، فلا تسمح بالتوقف ولا تسمح بالاستثناء . وليكن شعارك (استمر) .

(٦) اتهمز كافة الفرص المشجعة ، بل أوجدتها إذا تمكنت . فإذا قابلت شخصا له مثل هوايتك فتكلم معه فى الموضوع . سله عما عن لك من الملاحظات فى (فهم مقصدهك) أو فى (تحضير نفسك) . كن مستعدا لتنادى بمجهوداتك بإزاء العقول التى قربتها الصدف منك .

وبعبارة موجزة تتحصر هذه الخطوات فى الاستعداد وتعبئة عوامل الاقدام ، اختيار الزمان والمكان المناسبين للتنفيذ والتحفيز له ، التنفيذ وتنشيط الجهود حتى لا تتوقف أو تتراجع .

لقد شهد العالم منذ قديم الأزمان شخصيات ناضجة غاية في الروعة والجلال ، فان حياة سقراط بتمامها عزت عن المثيل ، وقد خلد ذكر أرسطو خلود ذكر سقراط ، ووسع ايكتيتوس رغم أنه كان عبدا وفتيرا أن يسمو بروحه حتى حلق في علباء المجد .

إن نقطة التحول إلى المجد بالنسبة لهؤلاء القادة وللجميع من تلامهم في جميع العصور هي تلك العبارة التي تقرؤها على مدين ولغيس وهي (أعرف نفسك) ، وقد قيل :

وأعظم الأمر بعد الشرك تعلمه في كل نفس عماها عن مساويها

وأما السبب الثاني الذي يغري بتوفير مشقة إزالة نقائص النفس وتقوية فضائلها واكتساب المزيد عليها ، ما دام أن نواحي النفس خافية عن الأنظار ولا يحس بها إلا صاحبها فهو خذلاً شائع . فكثير منا يستطيع أن يقرأ الوجه ويتغلغل في النفس ويقف على النقائص ويدرك الفضائل . هناك من يعرف أن سبب جرأة بعض الناس إنما هو نجلهم في الحقيقة وأن هذه الجرأة إنما هي مكمل النقص . قال شارل واخبار مؤلف كتاب الحياة البسيطة وهو يخطب في أحد الاجتماعات العظيمة في نيويورك "حينما أنظر اليكم كأنما أرى صفحة من كتاب في كل وجه" والحقيقة أن كل من مارس مسئوليات الأعمال يعتمد على قدرته وكفاءته في تقدير الخلق والمزايا حتى يستطيع أن يقرأ الرجال لأول وهلة فيضعهم في الأماكن التي يليقون بها .

يتطاع الكثيرون إلى المجد ويغفلون عن ثمنه حتى باتوا يقولون عن دفع هذا الثمن فجاز المجد إنه سعيد الحظ ، موفق الطالع ، لأنهم يريدون شيئاً سهلاً وسريعاً ويشتهون لو أن أحداً مديده اليهم يساعدهم أو يدفع عنهم ثمن مجدهم . فيبدو عجيباً أمر أولئك الذين يقرضون على الناس أن يكرمهم حين يغفلون هم أنفسهم عن تكريم أنفسهم فيسمحن بالظهور أمام الناس بهذا الفقر النفسي المشين وما كان أول بهم أن ينجلوا من نقائصهم قبل أن يطلبوا من الناس أن يكرمهم .

والحر من حذر الحوائف يحاول الأمر الجسياً

فهل حاولت أيها القارئ الكريم أن تعرف نفسك وتقف على عيوبها وتحرر بها قائمة وتضع خطة لإصلاح هذه العيوب .

فأما الخطوة الأولى - وهي معرفة النفس لإحصاء عيوبها فإنها تتم بأن تسأل نفسك هذه الأسئلة :-

(١) هل تفهم بوضوح معنى رسالتك للناس ومعنى رسالتهم لك ؟ هل أنت مهم وشغوف بعملك ؟ هل أنت مهم وشغوف بما تباشره في وقت فراغك ؟ هل يمكنك أن تنتبه لمدة طويلة إلى أمر من أمور عملك أو إلى أمر من أمور فراغك ؟ هل يمكنك أن تتدبر النقط الجوهرية التي يعتمد عليها أى الأمرين أو كلاهما ؟ هل تتبع في إصدار أمر أو في تنفيذ أمر خطة ما واضحة ومفهومة لك جيدا أو أنك لا تتبع في ذلك خطة ما أنك مرتجل ؟ وهل يقترن هذا الارتجال بالدقة والصواب وهل تؤدى عملك أو تباشر حياتك الاجتماعية متبعا في ذلك ما تعارف عليه الناس من عمل أو قول أو أنك تنهج في ذلك اقتراحات جديدة من بنات أفكارك ؟

وبعبارة موجزة ما مدى قواك العقلية من حيث الانتباه والملاحظة والتفكير والتروى والتذكر والتخيل والابتكار ؟

(٢) هل يعتمد عليك في علاقتك بالناس ؟ هل من صفاتك أن تواسى الناس ؟ هل أنت حساس ووجدانى ؟ هل يحملك مؤثر خارجي عما صممت عليه ؟ هل تأتى الأعمال الملاحظة مع عملك بخطئها وبعبارة موجزة ما مدى خلقك ؟

(٣) كيف تثبت أمام الملاحظات ؟ كيف نصمد للنقد ؟ هل تفقد صوابك أمام الحادثات ؟ هل أنت صبور ولطيف ؟ هل يمكنك أن ترى وجهة نظر غيرك وتلتمس له الأعذار إذا كانت تعوزه صفات مثل عدم الجمالة أو عدم الظرف أو عدم الصفاء أو عدم التعمق في التفكير ؟ هل يمكن لإغضابك بسهولة وبعبارة موجزة ما مدى طبايعك ؟

وعلى ضوء ما يستخلص من المجموعات الثلاثة السالفة يمكن وضع تقرير عن الشخصية من حيث سلامة عناصرها - مرتبتها - عوائق نموها مثل :

(أ) مركبات النقص كأن يشعر الشخص بالخوف أو الخجل أو الضعف فيعترل المجتمع وينكس أمام بعض الناس

(ب) الرغبة في الحية كالزوج الذى يكره زوجته فيكره أولاده منها لأنه يكرهها ثم ينشئ أن ينجح في الحياة لأنه يحس أن نتائج نجاحه إنما تعود إلى هؤلاء المبتضين فيكره أن ينجح ويتبنى الحية .

(ج) العادات السيئة التى تستهلك الوقت والصحة والمال قيل :

غير مجد مع صحتي وفراغى طول مكثى والمجد سهل لباعى

وهو ما تحمقه الخطوة الثانية وذلك بوضع منهج للسير في الحياة بمقتضاه سيرا نافعا للفرد نفسه ولاجتمع ما

صلاح الدين الأيوبي

ليسانس في القانون وليسانس في الفلسفة والاجتماع

المناحة الدائمة

في الأغاني المصرية

للاستاذ محمد قلب

في مصر - في أغانيها وموسيقاها - مناحة دائمة . فحينما استمعت إلى المذيع أو إلى المترين في المجالس والطرفات طرقت أذنك تلك الألحان الحزينة المتهالكة الشاكية تتخلها آهات كآهات المرضى أو حشرجات كحشرجات المحتضرين !

والدنيا جميعها تالم وتفرح وتهمد وتثور وتتعاقب عايشاً الشعورات البشرية المختلفة ولكننا في مصر في نشيج دائم متحد المعنى مماثل الأنغام لا يختلف إلا في الصوت الذي يؤديه !

الدنيا كلها تحس نشاط الربيع الزاهر الذي يفتمت التيبود وينطلق بالنفس الإنسانية حينما تستطيع الانطلاق ، وتحس بوقدة الصيف اللاذع الذي تتقى أو تحب حرارته ، وتحس بهدأة الخريف الراكد المظلم الحزين ، وتحس بلذع الشتاء المؤلم الذي تنطوى فيه النفس على ذاتها أو تصيح بالألم ، ولكننا في مصر في حريف دائم من الأحاسيس ، محزونون راكدون لانخرج مرة إلى نشاط الحياة !

وهذا عجيب . فليس من المعقول أن يكون الله قد منح الشعوب جميعها نعمة الحياة المتجددة المختلفة الألوان وخص مصر وحدها بهذا الموت الفنى الذي تاهت أنفاسها تحت عبئه الثقيل .

ليس هذا بمعقول . وإنما مصيبة مصر أنها نكبت بطائفة من الموسيقين يشج في أحاسيسهم اللين والطراوة ، فتنبعث ألحانهم منكسرة وخيبة توحى بالترانى والكسل ولا توحى مرة واحدة بالنشاط والحياة .

وقد حاول هؤلاء الموسيقيون أو المدافعون عنهم أن يتهموا الشعب المصرى بأسره بأنه شعب مريض متخاذل حزين ، وقالوا في سبيل الاستدلال أنه لو لم يكن مريضاً لما قبل هذه الألحان المريضة ولا طرب لها هذا الطرب الشديد !

وهذا منطق مقلوب . فأى شعب في الدنيا يقدم له هذا الغذاء المسموم باستمرار ولا يقدم له غيره أبداً ثم يبقى في بنيته بعد ذلك شئ من السلامة ولو كان من أخص الشعوب ؟

ومع ذلك فقد بقيت في هذا الشعب الذين يدعون عليه المرض بقية كبيرة في المدن وفي الصعيد وفي الريف لم تنسدها الأغاني المائعة ولم تمشخ طبيعتها، فبقيت تترنم بألحان فيها قوة وسلامة لعل المستمعين إلى الإذاعة قد لحظوها في الأغاني الصعيدية التي تداع بين الحين والحين فيقبل عليها الشعب ويردها في كل مكان .

وهم يقولون إن الشعب المصري بطبيعته شعب حزين فلا تلاءمه إلا الأنغام الحزينة التي تشبه ألحان الحناجر . ويستدلون على ذلك بأن الألحان الفرعونية التي عاشت حتى الروم في الكنائس وغيرها كلها ألحان حزينة مشجبة لافرح فيها ولا انطلاق . وهذا بعض الحق وليس هو الحق كله . فلا شك أن الشعب المصري ميال إلى الحزن مندفع إليه ولكن لا شك أيضا في أنه ميال إلى الفرح مندفع إليه بقوة . فلا تجد مجالا للفرح و"الهزيمة" إلا اغتتمه المصري وأغرق فيه . بل إن المصري يبرح الاندفاع إلى كثير من العواطف . فهو سريع الحزن سريع الغضب سريع الفرح سريع الحماسة سريع الهدوء بعد ذلك . فما بال هؤلاء الموسيقيين قد راحوا يضربون على النغمة الحزينة وحدها ولا يغيرونها أبدا مع أن المصري شديد الاستعداد لأن يتلقى غيرها من النغمة وخاصة ما هو متصل بالفرح والحماسة ؟ !

لقد عمدوا إلى ذلك ثم راحوا بعد ذلك يتهمون الشعب كله بالخور والقصور .

ثم مسألة أخرى . فلنفرض جدلا أن الشعب المصري لا يستطيع إلا أونا واحدا من الغناء هو الغناء الشجي الحزين، فمن قال إن الحزن والشجي يعينان المرض والذلة والانكسار . إن الحزن ألوان عدة منها القوي ومنها الضعيف، منها السليم ومنها المريض، فلماذا لا يقدمون للشعب حزنا آدميا سليما إن كان لا بد من الحزن؟ وإن كان يعوزهم المشال فليذهبوا إلى قرى الصعيد وليستمعوا هناك إلى الشجي الحقيقي . شجي الرجل الذي يتألم فتحس في ألمه بالرجولة لم تنكسر ولم تذل، وتحس أنه شجي إنسان حتى يتعذب فيرسل نفسه لحنا شجيا وليس هو تأوهات لينة مستخذيه الأئمن .

وهم يقولون أيضا إن الشعب المصري بعد أن طال عليه الاحتلال قد صار يحس في "لا شعوره" بالألم وعلى هذا نأغانهم المريضة هي الصدى الحقيقي لإحساس الشعب . وفي ذلك شيء من الحق وليس الحق كله . فقد مرت على الشعب فترات كان لا يجد فيها نفسه ولا يحس بكيانه . ولكن الشعب الذي حضم الحضارات كلها وابتاع جميع أنواع الاحتلال وبقي بعد ذلك كله محافظا على تقاليده وعاداته لم يؤثر فيه شيء ، ذلك الشعب لا يمكن أن تموت روحه الكامنة أو تنه على ممر العصور وإن هي إلا قشرة رقيقة تزيحها حتى تجد مصر الحقيقية - مصر القوية من وراء تلك المظاهر الجوفاء .

فهل حاول هؤلاء الموسيقيون أن يتعرفوا روح مصر الحقيقية وأن يمثلوها لنا في فن صحيح ؟

ويقولون إن الألحان المصرية أو الشرقية الخالصة لا تكفى وحدها للتعبير الفني الكامل ويبررون بهذا ما يقومون به من السرقة الصريحة من الألحان الغربية ما يوافقنا منها وما لا يوافقنا سواء !

وخروج موسيقى مصري واحد كسيد درويش استطاع أن يقدم ألوانا مختلفة من الموسيقى للتعبير عن الألوان المختلفة من الأحاسيس ، واستطاع أن يقدم فوق ذلك تعبيرا إنسانيا صحيحا لا مرض فيه ولا حيوانية مستخدما في ذلك الألحان المصرية والشرقية الخالصة — موسيقى واحد كسيد درويش ينقى جميع هذه المزاعم التي يستر وراءها أولئك الموسيقيون .

ثم إن الموسيقى فن واحد من الفنون التي تعبر عن النفس الانسانية ولها أخوات هي الشعر والتصوير والنحت وغيرها من الفنون ... فما بال هذه الفنون الأخرى قد تقدمت جميعها خطوات واسعة وبقيت الموسيقى وحدها متخلفة عاجزة عن أن تسير النهوض ؟ إن الشعب الذي أخرج فطاحل الأدباء والشعراء المصميين وأخرج مصورين بارعين ومثاليين مجيدين لا يمكن أن يكون كل جهده الموسيقى هو ذلك الذي تقدمه لنا طائفة الموسيقيين الحاليين . ولا بد أن يكون في أطوائه زخيرة فنية أرقى من ذلك يعوقها عن الظهور هذا الجلو المسمم بالفناء المريع .

أيها الموسيقيون ، لقد شبعنا تهالكا وحرنا . أسمعونا مرة واحدة لحن الحياة . أو تتعوا عن الطريق ..

محمد قطب

على هامس التريية :

نظرات في كتاب أميل

لجان چاك روسو

بقلم الكاتبة زينب محمد حسين

كان من العسير أن أطرق موضوع التريية في مقالاتي السابقة التي نشرت في هذه المجلة دون أن أتعرض لذكر كتاب (أميل) دستور التريية في أوروبا في وقت من الأوقات ، فشهرة كتاب (أميل) شهرة عالمية حتى لا تكاد تخلو منه مكتبة من المكتبات الراقية . فهو ثروة جامحة عصفت بالعالم الأوربي سنة ١٧٦٢ وكانت نتيجتها أن طورد روسو في مختلف الممالك الأوربية وهاجته الأنديية العلمية وصادرت كتابه وتبرأ منه البابا وتحالفت عليه المتاعب وأحاط به العنت والاضطهاد .

وروسو لم ينشأ نشأة يحسد عليها ، وإن كان من الضروري لاستيفاء بحث حول كتاب تربوي أن نبدأ البحث أولا حول بيئة الكاتب وقيمه الاجتماعية وظروفه الخاصة تلك الأشياء التي تؤثر على الكاتب ، وترويه من معينها ، وتغذيه بتعاليمها فيخرج نتاجه ثمرة غرسها وتعاليمه من أصل تربيتها ، فإست أحب أن أتناول حياته الخاصة بالبحث والتنقيب فقد تناولنا من قبل مئات الكتاب في الغرب والشرق . وإنما يعينني أن أتناول كتاب أميل ذلك الكتاب الاجتماعي الخطير .

فملاحظته على مؤلف الكتاب من كتابه أنه خيالي ، وخيالي متطرف ، ولاغرابة في ذلك فقد وضع دستوره في قصر صغير تبرع له بسكناه دوق لكسمبور ووزوجته ، وهذا القصر خلوي جميل يحيط به نبع ماء من ناحية ، وأشجار البرتقال من الناحية الأخرى حتى لقد شبه بعضهم ذلك المنزل بأنه كالجزيرة الجميلة Isolo Bella في البحيرات الإيطالية .

وفي هذا العس الفاتن ، بين همس الطيور ولحن المياه وعير أشجار البرتقال وبين هجوع الطبيعة وروعة الفنان الأعظم ، كتب روسو كتابه (أميل) فجاء يحمل شذى الطبيعة ، يعطر بها ابن الطبيعة تلميذه الوهمي (أميل) .

فروسو يريد في كتابه أن يجعل الطبيعة أساس التربية ، والتحرر المطلق من كل قيد فالطفل يولد فلا يحزم بقايط ولا يلف بأربطة ، بل يترك طبيعيا لا قيود ولا سدود . ثم يعلم وسط الطبيعة السافرة حيث يجد فيها الحرية الواسعة ، وحيث الأرض ملك للجميع ، فلا وطن ولا قومية ولا ملكية ولا شيء إلا الطبيعة أم العالم ، حيث الدين ؛ دين الطبيعة .

ثم نراه وهو يناقض تلك الآراء في أقواله وأعماله ، فهو يسرى متطرف طالما انتفى قلمه يدافع به عن أهل وطنه كما حدث بينه وبين فولتير عند أراد الأخير أن تمثل له رواية في جنيف ، فأقام روسو عليه الدنيا وأقعدما زاعما أن التمثيل مفسد للأخلاق ولا يجب أن يتعرض أبناء وطنه لمفاسده . كذلك نراه حيننا قد اضطر إلى اعتناق الكاثوليكية بدل البروتستانتية دين آبائه وأهل وطنه ثم ما لبث أن رجع إلى دين قومه وظل عليه إلى أواخر أيام حياته . كذلك فهو نفسه الذي قال إن التربية يجب أن تصبغ بصبغة وطنية ، فتوجه الأفكار والأذواق وجهة وطنية ، وأن يرضع الطفل هذه الوطنية مع لبن أمه حتى يعيش ويموت لوطنه ولا يرى شيئا غير وطنه .

كل هذه المتناقضات وغيرها تدل على الشذوذ الفكري لروسو مع ما له من آراء صائبة قيمة .

والحق أن الوطنية من أهم العوامل التي يجب أن نعتز بها ونفخر ، لأنها رمز الشهامة وعنوان النبالة والتضحية ، والتفاني في سبيل انقاذ الوطن وبناء مجده ورفعة شأنه ، ومع ذلك فأقوال روسو في الوطنية متباينة متناقضة ، فهو يدعو إلى الأخذ بها حيننا ، ويطالب بالتحرر منها في حين آخر ، ولست أشك في أنه كان ينساق إلى تلك الآراء انسياقا تحت تأثير فكرة عارضة تسرع له .

وهو يرى أن يشب الطفل على الفطرة ويعيش برفقة مؤدبه بعيدا عن المجتمع ، وأن يتعلم بنفسه ويسمى ذلك بالتربية السلبية ، والحوادث في نظره هي التي تعلمه شؤون الحياة ، وليست أدرى إذن كيف يتعلم من الحوادث مع أن الحوادث لا تتم إلا إذا اتصلت بالمجتمع ! وبما أن المجتمع في نظره فاسد فعلى تلميذه أن يعيش بين الغابات والأحراش كما تعيش الحيوانات ، وذلك كي يأمن عليه من أن تتسم أفكاره بما في المجتمع من مفسد وشرور ، هذا مع أن الانسان اجتماعي بالفطرة ، فكيف إذن توحى الفطرة ، مع ما فيها من طهر وبقاء ، بالاجتماع على ما به من مفسد وشرور ؟

ويقول إنه على المؤدب أن يؤدب الطفل إذا أخطأ دون أن يشرح له ماهية تلك الأخطاء ، بل أن يفهمه أن ذلك العقاب نتيجة محتمة لذلك العمل .

ويفضل روسو وجود الظرف الذي يؤهل للطفل تعلم الأشياء التي لا بد منها للحياة ،
فمثلا يجد (إميل) نفسه أمام لوحة يريد أن يعرف ما بها وهو لا يقرأ ، فيضطر إلى التعلم
ليستفيد من العلم المعرفة ، وهنا يعنى لنا أن نتساءل ، كيف يمكن أن يلم (إميل) بالمعرفة
دون أن يعرف شيئا عن العالم الخارجى ؟ ولكنها على كل حال آراء روسو المتطرفة .

كذلك يريد أن يكون تلميذه نباتيا يعيش على الخضر والفاكهة ، وأن يعنى بتربية
حواسه ، وأن تترك له الحرية التامة فى أعماله وتصرفاته متحملا نتيجة ما بها من خطأ
وصواب .

ويحذر بنا أن تتصدى لهذا رأى ، فالإنسان يولد بالطبع ناقص العقل وفى تصرفاته
ولا شك أخطاء كثيرة قد تباع أحيانا حد الخطورة ، فهل من الأصوب حقا أن ندع الطفل
يتحمل عواقب تلك الأخطاء ؟ إن روسو يريد ذلك ، فإذا حدث وحطم الطفل مثلا لوحا
من الزجاج فى نافذة غرفته فلا يوضع لوح آخر ، دون الاهتمام بما يصيب الطفل من نزلات
البرد التى ربما تقضى على حياته ؛ فإن ما يشعر به من ألم سيدهه فى المستقبل حريصا على
زجاج النوافذ فلا يحطمها . وهو فى هذا رأى يتجرد من العاطفة مجردا يظلم معه طفله
القاصر ، وليس من المعقول طبعا أن تترك الأم طفلها ، مهما اتهمت بالقسوة ، ليتعرض
للمرض والموت كى يتعلم درسا لا ينساه .

وليس من الغريب أن يجاهر جان جاك روسو بتلك الآراء وهو الذى لم ير له أما وعاش
محروما من الحنان المتلى ، فقد ماتت أمه بعد ثمانية أيام من ولادته ففازته الأيام بين صروفها
وأراه الدهر كثيرا مما خلق فى نفسه تلك الأوهام ، وهو شخصيا قد أدخل أولاده الخمسة
فى أحد الملاجئ مع ما كان متمتا به عندئذ من رغد العيش ، فكيف يشعر من كانت هذه
أعماله بالمعطف الأبوى والحنان التربوى ؟

إنه يريد أن يعزل الطفل حتى عن أمه ، وألا يكون معه غير مؤدبه الشاب الذى يقضى
معه أكثر سننى حياته ، والذى يجب أن يكون بلا أجر كما يقول روسو حتى لا يكون له دافع
فى تربيته إلا الميل الشخصى . ولست أشك فى استحالة تلك المطالب الخيالية اتى كان
متأثرا بها فيلسوف القرن الثامن عشر من المناظر الطبيعية (والتابلوهات) الخلوية الغاتنة كما
وضحت فى أول المقال .

فإذا سلمنا جدلا بأننا وجدنا هؤلاء النسوة اللاتى يرضين بمفارقة فلذات أ كجادهن ،
فكيف نجد المربين ؟ وإذا فرضنا وجدان هؤلاء أيضا فهل يتم لنا الحصول على جيل صالح
مثالى يقربنا من " السبرمان " المزعوم ؟ أم نحصل على جيل ساذج خيالى تملؤه الأوهام ،
يعمل بجواسه ولا يفكر بعقله ؟ جيل لا بد له أن يختلط بالمجتمع فى يوم ما فيظل معه على طرق
تقيض ، لأنهما لن يتفاهما ، ابن الطبيعة الخيالى ، وابن الحقيقة والتجارب والمجتمع ؟

إن تعاليم روسو لو طبقت جدلا وحصلنا على (إميل) فإن يلبث إميل أن يصطدم بتيار المجتمع الجارف بعد أن يصير شابا فيصيبه في نفسه ومعلوماته وميوله ، فلما أن ينزوي ويعيش غريبا بين الناس وإما أن يخضع للجموع من جديد فيحاول أن ينهل من تعاليمه التي يجهلها في كبره ما كان لا بد له أن ينهله في صغره ، وفي هذا من الصعوبة ما يعرضه لأشد ألوان التجارب وأقساها على نفسه المنظورة على الحزبية الالامحدودة ، وعقله الذي جبل على عدم البحث والتفتيح ، ذلك العقل الذي أراد له روسو أن يعيش في محيط الجهل حتى يباغ تلميذه الثانية عشرة بعيدا عن استعمال الكتب ، وكأن في استطاعة مداوكة أن تنمو بعيدة عن المرانة اللازم لها .

ولا يفوتني في هذا المقام أن أعرض رأي روسو في تربية المرأة ، فهو يرى أن المرأة لم تخلق للعلم والحكمة ولا للفن والسياسة ، بل خلقت لتكون أما تنجب أولادا تعيش اترضعتهم حتى إذا تمت مدة الرضاعة عهدت بهم إلى المؤدب لتسأنف عملية الوضع والرضاع من جديد ، على أن تكتفى بمبادئ المعرفة الأقوية البسيطة .

ومع ما في هذا الرأي من نواحي الحقيقة ، ففيه أيضا الكثير من نواحي الأناثية والاستبداد ، استبداد رجل العصور المظلمة الذي كان يعتقد أن المرأة دابة خلقت لحفظ النوع .

ولا نزاع هناك بأن وظيفة الأمومة هي الوظيفة الحقيقية للمرأة وأن البيت هو مملكتها الصغيرة ، ولكن ذلك لا يمنع مطلقا من أن تكون ربة تلك المملكة على جانب محترم من المعرفة كي تتمكن من الاحتفاظ بمكانتها والقدرة على إدارة شؤون مملكتها ، لا أن تكتفى كما يقول بتعلم مبادئ المعرفة البسيطة ، فلامررى إن الجهل المطبق لخير من العلم الناقص والمعرفة المتبورة . . .

وروسو يقول إن الفتاة ذات الذكاء والعبقرية وباء لزوجها وأسرته وأصدقائها وكل معارفها ، لأنها في عيائها نبوغها تحقر كل واجباتها كأمراة وتتعالى عن دائرتها الطبيعية للتطلع الى مراكز الرجال ، وأنى أؤيد كل من يوجهون النقد للمرأة التي تتناول على مراكز الرجال ، بل أدعوهم لوجهوا إليها من النقد فالإنسان لا يسلم من النقد إذا خرج عن طبيعته التي هيأته له المقادير ، لأن مكانة المرأة في مكانة زوجها ، ومسرتها في إسعاد أسرتها ومدى ما تقدمه لها من رفاة وهناء .

ومع ذلك فروسو هنا يتجنى كثيرا في آرائه على المرأة المتعامة بوجه خاص ، دون التفرقة بين هؤلاء اللاتي تعامن لمزاحمة الرجل ، أولئك اللاتي تعامن حبا للرفة ، وشغفا باستجلاء حقائق الحياة .

والحقيقة كما يراها بعض نقاد روسو انه ما دفع إلى افترائه على المرأة المتعلمة إلا ليضع متاراً على حقيقة حياته عندئذ وتبريراً لموقفه في معاشرته لامرأة جاهلة بلهاء كثيراً ما عابه الجميع على الركون إليها رغم نزعه الفلاسفة في الحياة .

ولهذا فهو القائل أيضاً بأن أدوات التبوغ تتعدى مرأى النساء ، فليس لمن الثقة التي تكفل لمن النجاح في المسائل الدقيقة ، متأسياً أن للراة استعداداً طبيعياً لإجادة كل ما يعرض لها من شؤون المكر والفن ، وأن تاريخ الدول حافل بأسماء عظيمة النساء اللواتي قدمن للعالم من الإنتاج والتقدم العلمي ما تعزبه تلك الدول وتدونه في أنصع صفحات مجدها ورقبها الفنى ولست في حاجة إلى ذكر الأسماء فهى ليست في حاجة إلى تبيان ويكتفيناً مثلاً مدام كورى محترمة الراديوم .

فاذا سلمنا بعد ذلك لروسو بنظريته في ابقاء المرأة على جهلها ، واعتبارها أداة خلقت للهو الرجل وممراته ، وإرضاء ميوله ونزواته ، فكيف يستطيع (أميل) ربيب الطبيعة وتلميذ المؤدب ونحريج الحياة ، كيف يستطيع متى بلغ مبلغ الرجولة أن تشاركه الحياة جاهلة تفرغ في أحوال الغباوة والتبلد ، وهو ابن الطبيعة الخيالى ، العائس بين بدائع الفنان الأعظم وملكوت الخيال والكمال ؟

ولا ريب أنه كان من الأصوب لروسو أن يحتفظ لتلميذه بالمستوى الذى دفعه اليه طلب المعرفة عن طريق الطبيعة وحوادث الأيام ، يفرض لزواجه امرأة توازيه من حيث المعرفة يقيم بينهما التفاهم الكلى ، لا أن يتليه بامرأة تعطيه من جهلها أكثر مما يعطيها من معرفته .

ويقينى لو تبته روسو حينئذ الى أن الحياة المنزلية ليست كلها كحيط منزله الخامد ، وليست كل النساء كشريكته الغبية البلهاء لعرف أنه لا بد لكل من الرجل والمرأة من المعرفة الكاملة ، وليس هناك ما يحتم نقصان معرفة المرأة عن معرفة الرجل ، لأنها هى التى تتعهد الرجل طفلاً ، وترعاه رجلاً ، وانها هى التى تغرس فى طفلها بذور المعرفة والدراية رغم كل النظريات والآراء ، وأن الطفل لا يفتح عينيه إلا على وجهها ، فيحاكى أقوالها وأفعالها ، ليكون نسخة ثانية منها .

ان فى كتاب (أميل) نظرات تضيق بها هذه الصفحات المحدودة ، ومع ذلك أتمنى أن أكون قد عرضت فى هذا المقال الموجز للتواشى الهامة فى هذا الكتاب ، الذى أخرج منه بأن روسو له آراء قد تكون خاطئة ، ولكنها قد تكون سابقة لأوانها ، وفى الحالتين لا تصحح بجملتها كى نطبقها على المجتمع ، وإن كان لا بد لنا من الاسترشاد بها إذا ما أخذنا فى إصلاح طرق التربية .

زينب محمد حسين

صور من حواضر مؤتمر المجرهونز :

في المحلة الكبرى

بقلم الأستاذ محمد عبد الكريم

عرضنا في مثالنا السابق لدمياط كأكثر مدن القطر نشاطا في الانتاج الصناعي، وأرجعنا ما لمسناه فيها من نهضة مباركة الى خالق بنيتها وما فطروا عليه من ميل الى العمل في صلاح واستقامة، واليوم ننقل بالقارئ الى مدينة أخرى بلغت في انتاجها الصناعي مكانا لا يقل اليوم عن مكان دمياط، تلك هي المحلة الكبرى.

كانت المحلة الكبرى الى ستين سنة خلت قصبه مديرية الغربية، كما كانت أكبر مدن الوجه البحري بعد الاسكندرية، إذ بلغ تعدادها في ذلك الحين خمسين ألف نسمة، وقد اشتهرت من القدم بصناعة النسيج، إذ كانت كما ذكر في الخطط التوفيقية المورد الرئيسي لانتاج المصنوعات الحريرية: كعصائب الرأس والكريشة الحريرية والملاءات والأحزمة. وكان لأهلها ماض مجيد في ميدان العلم والدين إذ عمرت باربع مائة مسجد عفا أكرها وزال وإن كان بها حتى اليوم ما يقرب من السبعين، ومن مساجدها الشهيرة مسجد الشيخ فضل، والحنفي، والمتولى، وعبد ربه، والمحجوب، وقد أنجبت المحلة عددا كبيرا من صفوة العلماء الذين تزخر المكتبة العربية بمؤلفاتهم القيمة: كالجلال المحلي الذي وصفه بلال السيوطي بأنه المثل الأعلى للعالم الفاضل، كان مهيبا، شجاعا في الحق، لا يخشى حاكما ولا يتردد في مواجهة الظالم بقده وتصحه، وكان على علو كعبه ورفعة قدره يعمل في التجارة ولا يرى في الاشتغال بالعلم ما يدعو الى القعود عن طلب الرزق. ومن أنجبت المحلة أيضا أبي النور صاحب تصانيف النجمة الزاهرة، والتزمة الفاخرة، ومحاسن النظام. ومن علمائها أيضا عبد الرحمن المحلي الذي قيل فيه كما ورد في "الضوء اللامع" للسخاوي :

يكاد من دقة الألفاظ يحمله زوح النسيم وبرق السمع يخطفه

قدرق حتى إذا لو حل من أدب في طرف ذي رمد ما كان يطرفه

ومنهم كذلك أبو الفتوح المحلي، وأبو العباس السلمي، والبيهاء الشيشيني، وابن الرعاد، والزرقاني وغيرهم، وقد مرت بالمحلة، شأن حواضر القطر القديمة، من تقاليد الأيام احدث وأزمات. فلقد حدثنا الجبرتي كيف تارت المحلة الكبرى على الفرنسية عام ١٢١٤م وكيف قوبل

أهلها بنيران حامية من مدافع العدو حتى أرغموا على التسليم بعد أن قتل قاضيها ومات بنار العدو المئات العديدة من بنيتها . وقد كان رواج الصناعة بالمحلة مطمعا للولاة والحكام فكانوا يخصصونها بخراج يفوق في كثير من الأحيان طاقة سكانها ، ولقد حدثنا صاحب الخطط عن مرور عزيز مصر محمد على الكبير في جولته بجمع الضرائب ، إذ فرض عليها خمسين كيسا فعمل حاكمها على جمع المقدار بكافة السبل إلا أن الأهليين لم يقووا على تقديم هذا القدر الذي نقص سبعة أكياس فألزمهم الحاكم بتقديم عدد كبير من الجياد والجمال عدا ما ألزموا بإهدائه من منتجاتهم كالمقاطع الحريرية والزردخانات والسياب المحلية .

ولما عممت زراعة القطن في البلد في عهد محمد على الكبير اشتغلت المحلة بغزله ونسجه فأخرجت أنوالها النماش الشعبي المعروف بالغزلي ، وابتعثت الملاءات والأقمشة الوربية كالمنشفات " البشاكير والقوط " وغيرها ، وقد عانت الصناعة بالمحلة بعد الحرب الماضية من منافسة الدول الأجنبية وخاصة اليابان أزمة كادت تقضي عليها لولا ما التجأت إليه الحكومة من فرض رسوم جمركية لحماية التجارة كما سنين فيما بعد .

حدثنا بعض أصحاب أنوال الحرير هناك أنه عرض في معرض عام ١٩٢٦ بعض مصنوعاته من الأقمشة الحريرية وصادف أن عرج على محله بعض لمتفرجين من الأجانب وكانوا من أبناء اليابان فاستحبوا بما شاهدوه وأبدوا عطفًا على الرجل وشجعوه باقتناء بعض منتجاته ، ثم مضوا إلى أنواله يشاهدون طريقة عملها ، ولم تكتمر على هذه الزيارة أربعة شهور حتى تلقت البلد من اليابان رسائل عديدة من الأقمشة الحريرية من ذات الشكل الذي يصنعه الرجل بربع الثمن الذي يبيع به ، وقد تبين أن الزوار الكرام بعثوا بالعينات والمواصفات إلى بلادهم فقلدت أدق تقليد وأرسلت إلى مصر كما كانت ترسل الساعات من اليابان إلى سويسرا ربة صناعة الساعات لتباع هناك بالوزن لا بالعدد . . . وهكذا أتى على المحلة حين من الدهر عانت فيه ساعب كادت توقف دولا ب العمل فيها وتقضي على بنيتها بالبطالة لولا أن قبض الله لساكنيها ذلك المشروع العظيم الذي أوجد العمل لعشرات الألوف منهم والذي يعتبر بحق فتحا جديدا في عالم الصناعة بالبلد بأسره .

ففي عام ١٩٢٧ صرح عزيم كبار المالين من المصريين وعلى رأسهم الزعيم الاقتصادي المغفور له محمد طلعت حرب باشا على تأسيس شركة صناعية للغزل والنسيج هي باكورة أعمال بنك مصر وأولى منشآته ، فآكتبوا لها بمبلغ ثمانية ألف جنيه واستصدروا مرسوما بتأسيسها ، وفي عام ١٩٢٨ بدأت الشركة عملية البناء بمدينة المحلة على أرض مساحتها اثنان وثلاثون فدانا وأرسلت إلى الخارج بعثتين : الأولى قوامها اثنان إلى الهند والثانية من ثلاثين شابا من خريجي

المدارس الصناعية أوفدت الى باجيجكا وعاد الشبان بعد مرافقتهم الى مصر وبمعاونة الفنيين من الأجانب من النمسا وتشيكوسلوفاكيا قاموا بتركيب الماكينات وإدارتها .

وفي ديسمبر سنة ١٩٣٠ تمكن المصنع من أن يخرج أول ثوب من النسيج ، وكان عدد مثاقيله حينذاك اثني عشر ألفا وأنواله ٤٨٤ نولا . وفي سنة ١٩٣٢ أدخلت به صناعة الأقمشة الوبرية "كالقوط والبشاكير" وصناعة المنسوجات الخفيفة كالبولين ، كما أعد به مصنع للقطن الطبي يكفى لتموين البلاد من هذا الصنف . وقد كانت منتجاته كما شهد بذلك الدكتور فريدمونك رئيس أطباء مستشفى مارتن لوثر بربلين نوعا ممتازا لا يفضله أى نوع من الأقطان الأخرى كما أنشئ به مصنع للخيوط السميكة "الدوبارة" .

وفي عام ١٩٣٤ زادت الشركة مغازلها الى سبعة وأربعين ألف مغزل كما أباغت أنوالها الى ألف نول وأنشأت مصنعا للجوارب "والفانلات" وآخر "للناموسيات والدننلات" وزادت رأس مالها الى ثمانمائة ألف جنيه ، كما بلغ عدد عمالها في تلك السنة عشرة آلاف عامل . وفي عام ١٩٣٥ زاد هذا العدد الى ثلاثة عشر ألفا وأديرت مصانع الصباغة والتبييض والطباعة وكبرت محطة التوليد وزيدت أنوال الكتان الى ٣١١ نولا .

وإذا لاحظت الشركة أن سوق الغزل محصور في إنتاجها هي وشركة الغزل الأهلية فقد اتفقت مع الأخيرة على إنشاء مكتب مشترك لبيع الغزل بسعر موحد وهو عمل احتكارى غايته منع المنافسة من جانب والحيلولة دون تسرب الغزل الى غير اغراض الانتاج المحلى وهذا الاتفاق هو ما يسمى عند رجال الاقتصاد *Cartel avec gestion commerciale par un bureau de vente* .

وقد استقبل المصنع بداية عام ١٩٣٧ عهدا جديدا اذ كان قد استوفى كل مرافق عمله ، فقواه المحركة أباغت الى عشرين ألف حصان ، وأنواله زيدت الى أربعة آلاف وقد ساهمت الشركة في تأسيس شركة النسيج الرفيع بكفر الدوار التي أقيمت باتفاق بين بنك مصر وشركة صباغى برافورد . وفي نهاية تلك السنة سعد المصنع بتشريف حضرة صاحب الجلالة الملك الذى أبدى ارتياحه السامى لما رآه ، وبعد ذلك بعام واحد كان مصنع الصوف قد بدأ عمله وأخرج باكورة منتجاته التى تعطف جلاله الملك فأمر باقتناء بعضها . وتسير مصانع الشركة بخطى ثابتة فى سبيل تموين البلد بما يحتاج اليه من غزل ونسيج ، وقد سدت هذه المصانع نقصا كبيرا وقامت بدور بالغ فى الأهمية فى هذه الأزمة التى انعدم فيها الوارد من المنسوجات الأجنبية بسبب الحرب القائمة . وقد نالت مصانع الشركة اعجاب كل من شاهدها ، ودفتر زيارتها حافل بشهادات الكبراء والعطاء من مصريين وأجانب نكفى بذكر

ما قاله المسيو تونيس رئيس وزراء بلجيكا عنها اذ صرح بأنه "لوشيدت المصانع فى أوربا بمثل ما شيدت عليه هذه المصانع لوفروا كثيرا من الفوائز الاجتماعية التى اضطروا الى سنها ابتغاء راحة العمال".

فى حقل الانتاج :

كنا فى الصباح الباكر ، والعمال يتقاطرون على المصنع تقاطر النمل على الشهد ، جيش كبير ، يسير فى حله الزرقاء الى ذلك البناء الذى لا يكاد يدرك الطرف أقاصيه ، فاذا اتبعناهم الى أبواب عتار العمل وقفنا مشدوهين لما نرى ، هذا عتار الغزل الأول ، آلاف عديدة من المغازل الكهربية يديرها شباب وقتيان يعملون فى سرعة فائقة ، فانت لاترى غير عجل ، يدور وبكرات تتحرك ، وأياد ترفع وتخفض ، ورس تملو وتهبط ، تشاهد فى هذا العتار وفى العتارين المجاورين له عشرات الألوف من هذه المغازل يدخل فيها القطن خاما فيخرج غزلا صالحا للخياكة ، فاذا انتقلت الى عتار النسيج ألقيت تلك الخيوط الدقيقة يلقى بها فى أنوال كبيرة الحجم ، عديدة الأجزاء ، فلا تكاد هذه الأنوال تلمس الخيوط بمقابضها حتى تجمها نسيجا ممتاسكا صالحا للاستعمال . ثم هناك غير هؤلاء عشرات العتار فى كل عتار عمل ولكل منها مهمة واختصاص . هذا مصنع الكان ، وهناك مصنع الصوف ، يقابله مصنع الخيوط السمكية (الدوبارة) ثم مصانع الجوارب والفانلات ، وقد شاهدنا فتيات يعملن فى جدق ومهارة يجالذن الصناعة مجالدة الجال ، وترى أيضا مصانع القطن الطبي وغيرها من العتار الكبيرة العديدة التى تضم المطبعة والمبيضة والمصبغة وورش المعادن والاصلاحات وبناء المولدات الكهربية التى تحرك بمواها هذه الألوف المؤلفة من الآلات ، وبين هؤلاء وهؤلاء شاهدنا أقساما للتطريز والكيمياء الصناعية ولتحليل الخيوط وأجهزة مختلفة لاختبار قوة الشد ومثانة النسيج يشرف عليها لقيف من شباب البلد الذين تلقوا دراستهم الفنية فى الخارج .

ووقفت فى هذا الحقل الفسيح المليء بالألوف العديدة من الآلات ، الزاخر بعشرات الألوف من الرجال والنساء ، أسائل نفسى : كيف قويتنا على النهوض بهذا ، وماذا يكون حال البلد لو لم يبيض له من المغفور له طاعت باشا واخوانه من يخلق لنا هذه الصناعة التى سرت بوافر انتاجها ابداننا وسدت اذ انتقطت عنا الموارد نقصا ما كان أكبره لولا قيامها بيننا وفيما أنا غارق فى تفكيرى اذا بيد تربت على كنفى حتى اذا التفت الى صاحبها رأيتنى أمام ذلك المدير العامل الذى يدبر بعقله أمور تلك المدينة الكبيرة يراقب سير العمل فيها ويشرف على توزيع انتاجها .

مع مدير الشركة :

وصحبنا ثعادة عبد الرحمن بك حماده الى مكتبه ، وفي هذا الجو الصاخب بجاجة الآلات ،
الداوى بضجيج العدد والمساكينات جلسنا الى ذلك المهندس التقدير الذى يرجع اليه أكبر
الفضل فيما بلغت هذه الصناعة من رقى ونهوض .

استهل المدير النشط حديثه بسؤالى عما أرى فيما شاهدت ، قلت المعجب العجاب ،
لقد زرت هذا المصنع مرة في عام ١٩٣٢ وانى لأميس الفارق بل والتغير الكبير الذى طرأ على
كل ما فيه ، قال نعم ، لقد تغيرنا ، ونحن كل يوم نسير من نصر الى نصر جديد ، وصحت
المدير قليلا ثم تابع قوله ، لقد كان رأس مال الشركة عند تأسيسها ثلاثمائة ألف جنيه ورأس
مالها اليوم خلاف الاحتياطي والسندات المستغلة ما يوفى كامل ، وكان عدد عمالنا ثلاثة آلاف
وخمسمائة عامل وهم اليوم يتجاوزون الثلاثين ألفا .

وايس أدل على ما بلغتته الشركة من تقدم من أن سعر السهم وقيمته الاسمية أربعة جنيهات
بلغ الآن نحو ١٩ جنيها وأن المصنع الذى كان معدا في بدء تكوينه لغزل ونسج القطن يضم
اليوم مصانع مختلفة للصوف والكتان والحبال الرفيعة والقطن الطبي .

قلنا : لقد أثبت النجاح الذى بلغته الشركة كذب ما كان يقال من أن إقامة الصناعة
بمصر أمر مستحيل .

قال : ليست إقامة الصناعة بالبلد أمرا مستحيلا ولكن نجاحها أيضا يتطلب جهودا
غير يسيرة ، فلقد صادفنا صعوبات كادت تنضى على المشروع في مهده لولا صبر الشركة
وثباتها وجهودها لتخفيض نفقات انتاجها ، ثم تعضيد الامة وأقبالها على منتجاتها التي عرفت
بحق مزاياها ، هذا الى تلك الخدمات الجليلية التي بذلتها حكومات مصر المتعاقبة لحماية الصناعة
المحلية . وصحت المدير الفاضل قليلا ثم عاد يقول :

لقد كان أخطر ما واجهنا في مستهل حياة الشركة منافسة اليابان التي كانت تفرق السوق
سضائعها متعددة قتل الصناعة المحلية فيها ليخولها ميدان التعامل ، فما إن ظهر انتاجنا حتى
رأيناها تنفض سعر منسوجاتها الى أقل من النصف ، وحسبك أن تعلم أن مقطع القماش الياباني
كان الى ما قبل إنشاء الشركة عام ١٩٣١ يصل السويس بسعر ١٢ شلنا ، فلما أسست
الشركة عمدت اليابان الى خفض سعره الى خمسة شللات وهو اجراء معروف عند المشتغلين
بالتجارة Underselling فاذا أضفنا الى ذلك فرق العملة الذى هو في صالح اليابان وجدت
أن الخطر كان داهما لولا غيرة حكومات مصر الرشيدة التي فرضت على البضاعة

اليابانية في عام ١٩٣٥ رسوما إضافية قدرها ٤٪. هذا الى زيادة الرسوم الجمركية عام ١٩٣٨ كما أننا تعرضنا الى خطر منافسة البضائع الايطالية الى ما قبيل الحرب القائمة .

قلنا : وما سر رخص البضاعة الأجنبية حتى تنافس بسهولة بضاعتنا المحلية قال : ليس رخص البضاعة الأجنبية إلا ظاهريا إذ أنها في الحقيقة أغلى بكثير من منتجاتنا إذا قيست بالجودة والمناة ، فالقطن المصرى الذى هو قوام صناعتنا أجود وأغلى ، والنسيج المصرى أمتن وأدق ، ويكفى أن تعلم أن الثوب من إنتاجنا يضارع فى المناة ثلاثة أنواع من غيره وقد أثبتنا ذلك بتجارب عديدة عملناها بحضور كبار الزائرين كما أن التحليل أثبت تفكك الأنسجة الأجنبية وكثرة النشا الذى يبلغ فى بعضها ٣٥ ٪ من مادتها .

وإذ سألنا عزته عن مدى كفاية الإنتاج المحلى من الغزل والنسيج لالة البلد قال : إن إنتاج الشركة من الغزل القطنى يكفى بإضافته الى إنتاج شركة الغزل الأدية بالاسكندرية كل حاجة البلد ويفيض ، كذلك الحال فى إنتاج المنسوجات القطنية . وقد أخرجت مصانع الشركة فى العام الماضى ١٥ مليون كيلوجرام من الغزل وستة وسبعين مليون ياردة من النسيج استهلك فى صنعها ما يقرب من أربعائة ألف قطار أما الصوف فقد أخرجنا منه مليون ومائة ألف رطل من الغزل وما يربو على مليون ومائتى ألف متر من النسيج .

وقد أجبنا حين سألناه عن مدى تأثير الحرب القائمة فى حالة الصناعة قائلا :

لقد سد وجود الشركة وغيرها من مصانع النسيج نقصا كأن يهددنا بالعراء فى مثل هذه الآونة ، وتفادى الشعب بوجورها غلاء ما كان ليتحملة وسواده فقير ، وحسبنا أن نذكر أن ثمن ثوب الدولار قد ارتفع فى الحرب الماضية من ثمانية وخمسين قرشا الى ثلاثة جنيهات ونصف . أما اليوم فالارتفاع يسير طفيف ، وهو راجع للصعوبات التى تعمل جاهدين على تذليلها ، فلقد صادفتنا متاعب كثيرة بسبب غلاء الخامات وقطع التغيير وصعوبة النقل بالسكة الحديد التى استعضنا عنها بسياراتنا ، ومشكلة الأيدي العاملة بسبب انصراف الكثيرين للعمل فى الجهات الأخرى كلقاهرة وخاصة من كان من أبناءها ، ثم مشكلة الوقود التى حالتناها بالاستعاضة عن الفحم بالمازوت ثم صعوبة التوزيع بسبب جشع بعض التجار وعملهم على تخزين بضاعتهم . وقد وفقنا والحمد لله الى حل كل هذه المشكلات وخرجنا رابحين بفضلته تعالى : الأول وهو الأهم هو التيام بالواجب الوطنى فى تيسير الكساء للشعب وخاصة الفقير الذى أوليائه أكبر عناية ، والثانى هو فائدة المساهم الذى سار ربحه فى صعود مستمر فن ٢ فى المائة من قيمة السهم صرفناها فى عام ١٩٣٩ ارتفع الربح الى ٢٠ فى المائة ، هذا الى ما وفقنا اليه من تقوية مركزنا المالى بانقاص الأصول الثابتة وتسديد رصيد البنك وزيادة الاحتياطي .

وإذ المعتال عما نتجيه من تحسين حالة العمال الاجتماعية قال " لقد نفذت الشركة في عام ١٩٣٥ نظام التأمين للعمال لدى شركة مصر للتأمين ، كما وفتت رصيد الجزاءات على مصلحتهم وضاعفت لهم علاوة غلاء المعيشة . أما منهاجنا لرفع شأن العمال فكبيرة واسع الطاق ، فلدينا مشروع بناء مستشفى للأمراض الصدرية ، ومشروع التأمين العلاجي وإقامة وحدة صحية كاملة بالمدينة ، ومشروع إمداد العامل بالغذاء الرخيص ، هذا إلى ما قننا به من الاشتراك مع الحكومة في حل مشكلة مساكن العمال بإقامة قرية العمال والمهاجرين التي تكلفت ربع مليون من الجنيهات والتي يمكنك زيارتها في ظاهر المدينة .

واختتم حماده بك حديثه قائلا : لقد بلغت مرتبات عمال الشركة وموظفيها في العام الماضي سبعمائة ألف جنيه وهو مبلغ كان مفروضا أن يخرج من البلد كلها إلى جيب العامل الأجنبي لولا وجود هذه المؤسسة التي لا نذك في ان الأمة بأسرها حكومة وشعبا تفار على نجاحها وتعمل جاهدة لتعزيدها .

قرية المهاجرين ومشكلة مساكن العمال بالمحلة :

تعتبر مشكلة المساكن بالمحلة أعقد المشكلات وأجدرها بالعناية . وقد وفقت الشركة في إعداد حل وإن كانا لاراه حاسما ولا كافيا إلا أنه يخفف البلوى إلى حد يذكر . فهناك في ظاهر المدينة وعلى مسيرة ثلث ساعة من مصانع الشركة يرى الزائر مجموعة من المساكن الحديثة يدهشه كبرها وسعة رقتها ، تلك هي قرية المهاجرين التي أعدت بنظام يكفل استخدامها لسكنى العمال فيما بعد الحرب القائمة . وتتميل ذلك أنه عندما اشتدت الغارات الجوية على المدن الساحلية رأت وزارة الوقاية ضرورة إقامة قرية للمهاجرين في مدينة داخلية تكون في مأمن من أهداف المغيرين ، وقد وقع اختيارها على المحلة الكبرى . وأتهزت شركة مصر هذه الفرصة فاتصلت بأولى الأمر وانفقت على أن تشترك معها في نصف تكاليف هذه القرية لقاء تركها لعمال الشركة بعد الحرب .

وتقوم قرية المهاجرين أو مدينة العمال على مساحة قدرها سبعة وستون فدانا ، وهي مبينة بالطوب الأحمر ومسقوفة بالحرماتنة ومطلية من داخلها وخارجها ، وتنقسم إلى قسمين : الأول مخصص للعزاب من العمال ويتسع لألف ومائة عامل وعاملة لكل من القريتين مكان منفصل كما أعدت للإتروجين ٤٢٤ بيتا في مجموعات "بلوكات" تشمل كل مجموعة على عشرين منها ، ويفصل كل مجموعة عن الأخرى شارع عرضه اثنا عشر مترا وبيوت المتزوجين في سعتين فمنها الكبير الذي يحتوي على ثلاث حجرات ومنها ذو الحجرتين . وبيوت القرية كلها مقامة على وضع صحي في طراز حديث وهي مزودة بالماء الجارى ولكل بيت حوض لتربية الدواجن ومكان للوقد (الفرن) .

ويشقى القرية طولاً وعرضاً شارعان رئيسيان عرض الأول ستون متراً والثاني خمسة وثلاثون. وبسبب عدم وجود مجار عامة بالمحلة فقد أعدت بالقرية خزانات للتخزين وبيارات تكفل تصريف المواد في الرمال .

وقد بدئ في بناء هذه القرية في نوفمبر عام ١٩٤١ وتم بها العمل الآن وسامت المباني لوزارة الوقاية. على أن المشروع لا زالت تنقصه المرافق العامة إذ يشمل التصميم مسجداً ومدرسة ونادياً وملعباً كبيراً وستة ملاعب صغيرة وثلاثة أسواق يقوم كل منها على ستة حوانيت .

أوجه النقص في حالة البلد الاجتماعية وسبل إصلاحها :

ليس ثمة من شك في أن المحلة الكبرى قد تغيرت كثيراً باقامة مصانع شركة مصر بها. وإذا كان وضعها القديم مقبولاً أيام أن كانت قاصرة على بنيتها فلا ريب أنها بعد اضافة هذا الجيش العرمرم بأهله وذويه الى سكانها أصبح الأمر محتاجاً الى تفكير وتدبير لأمر معيشتها من مسكن وما كل ومرافق حياة . ونحن لا نحمل الحكومة وحدها عبء علاج هذه الحال وإنما نشرك الشركة كذلك في هذه المسئولية الكبيرة .

لقد عالجت الشركة مشكلة السكن ووجدت في هذا معونة كبيرة من الحكومة التي تحمت بنصف تكاليف أبنية ستشغل كلها بعامل الشركة، ولكن إنشاء قرية العمال ليس في رأينا غير حل مخفف، ذلك بأنها لا تأسع كما أسلفنا لأكثر من ألف وستمائة عامل، وهو عدد لا يتجاوز جزءاً من خمسة عشر جزءاً من عمال الشركة، ونحن نرجو أن تكون هذه المباني باكورة أعمال تالية لحل مشكلة السكن..

ثم إننا وقفنا على أن الحكومة قد رأت إيواء المشردين من الأطفال في هذه المستعمرة ونحن وإن كنا نعذر للحكومة تصرفها بسبب عدم وجود المساكن الحالية اليوم لإيواء هؤلاء المشردين فإننا نرجو أن يكون أجزاؤها هذا وقتياً الى أقصى مدى بسبب ما يعانيه عمال المحلة من متاعب وأضرار نظراً لضيق المساكن هناك .

والنقص الثاني الذي لمسناه بالمحلة الكبرى هو ضيق حواريتها وسوء تنظيمها، فالبلد عميق وقد أهمل أمره إهمالاً كبيراً ، ولسنا ندرى ما إذا كانت موارد البلدية هناك تسمح بشق الشوارع الجديدة، وعلى كل حال يمكن تحقيق ذلك بنزع ملكية مساحة مضاعفة للطاونة وتعويض النفقات ببيع ما يتخلف على جانبي الطريق الحديد بأثمان عالية . وإهمال تنظيم الشوارع فيه أبلغ الضرر على صحة الأهلين وكلهم من العمال الذين يحتاجون الى المسكن الصحي، هذا الى أن المحلة بأسرها ليس فيها غير شارع واحد كبير هو "شارع محب" المطل على الزعرة

وبلد كبير كهذا يجب أن يكون بحال أرقى مما شاهدنا وأن تعمل له خارطة جديدة لتقام المباني المستحدثة على أساسها . والنقص الثالث هو اعمال أسباب الصحة من مستشفيات ومنتزهات. ونحن لو عود شركة مصر بإنشاء مصحة للأمراض الصدرية ووحدة صحية لمستظرون. أما المتزددات فواجب على البلدية المساعدة بإعدادها وخاصة أنها لن تكلفها كثيرا وسيفيد منها العمال الذين يقضون يومهم في جو خانق مليء بالرطوبة والغبار .

ثم هناك مسألة العناية بتثقيف العمال بإنشاء أندية لهم ومبرات لأولادهم والعمل على ازالة اميتهم وإنشاء أحواض للسباحة لهم وخاصة أننا شاهدنا الكثيرين يستحمون في ترعة البلاد . والنقص الرابع هو مسألة المجارى العامة التي نوجب كيف لا توجد في بلد كبير كالحلجة الكبرى والمجارى من أهم مرافق الصحة في البلاد .

وأخيرا لا نرى مندوحة من أن نوجه أنظار أولى الأمر الى ما تقاسيه طبقة كبيرة من أهالى الحلجة وهي طبقة أصحاب الأنوال اليدوية ، فتلك المصانع الصغيرة يقوم أغلبها في البيوت في أقبية وحجرات مظلمة لا تدخلها الشمس ولا يتخللها الهواء ، يعمل في هذا الوضع آلاف من الخلق يشتغلون في نسج القماش الشعبي المعروف بالغزلى ويتعاون أهل البيت مع ربه في العمل ، فالزوجة والبنات يشتغلن بفك الخيوط على عجلات من القاب والرجل وأولاده يعملون بالنول ، وهم على تكاتفهم وجهادهم الدائب لا يكادون يحصلون على القوت بسبب منافسة الأنوال الميكانيكية لهم ، وعندنا أن هناك لتحسين حالهم أسبابا :

(الأول) تنظيم الشوارع كما أملقنا لتيسير دخول الشمس والهواء الى مصانعهم المنزلية .
(الثاني) إنشاء مطاعم شعبية في مناطقهم ومبرات لأولادهم .

(الثالث) ارشادهم وتزويدهم بالأنوال الحديثة كما كانت تفعل وزارة التجارة مع خريجي المدارس الصناعية .

(الرابع) اقامة صنابير مجانية للمدعم بماء الشرب النقي وخاصة أننا لاحظنا أن أكثرهم يجمد الى التربة للحصول على الماء .

(الخامس) تسهيل تصريف منتجاتهم باعفاؤها من الضرائب وتخفيض أجور نقلها بالسكة الحديد ، فإذا عينا بما تقدم أمكننا أن نهض بأمر الطبقة العاملة في بلد يعتبر بحق أكبر بلد صناعى في القطر ومورده الرئيسى في كل ما يفتقر اليه من غزل وديسج .

محمد عبد الكريم

واجب التاجر المسلم

للأستاذ فكرى يس

المدرس بكلية الشريعة بالجامع الأزهر

يحتاج العالم اليوم ، مرحلة رهيبة ، ويفالب ظروفها عصبية ، ويعانى أزمة طاخنة ، من جراء تلك الحرب الضروس ، التى تدور رحاها الآن ، فى كثير من بقاع الأرض :

وإذا كانت كل طائفة من طوائف الناس تلزمها تبعات ، وتقع عليها مسئوليات ، بسبب هذه الحالة الطارئة ، الجديرة بتعاون الأيدى ، وتساند القوى ، فإن ما يقع على كواهل التجار من ذلك ، وما يتوجه إليهم وحدهم ، أعظم وأخطر ، لأنهم إن راعوا العدالة فى معاملاتهم ، ودأبوا على الإحسان فى تصرفاتهم ، والزموا وصايا الإسلام فى نظام تجارتهم ، رفهوا كثيرا عن اخوانهم فى الإنسانية ، وحذقوا عليهم كثيرا من متاعب الحرب وآلامها .

ولقد نهى الإسلام التاجر المسلم عن مآثم كثيرة ، وقبح ارتكابها ، وذم مرتكبها ، وتوعده عليها بالحسرن فى الدنيا ، والعذاب فى الآخرة ، وأمره كذلك بأوامر كثيرة ، ومدح فعلها ، وأثنى على فائدها ، وبشره بالربح الجزيل ، والنعيم المقيم .

ولا شك فى أنه من أوجب الواجبات على التاجر المسلم أن ينفذ تعاليم الإسلام ، ويتحلى بأدابه ، وأن يفعل ما أمره به ، ويترك ما نهاه عنه ، فإنه إن أخذ نفسه بذلك وثابر عليه ، سعد بتجارته فى الدنيا والعقبى ، أكثر مما يسعد بها المستهلكون .

١ - الاحتكار وما فى معناه :

نهى الإسلام عن احتكار الأطعمة والأقوات ، وخزن السلع والبضائع ، وعن ائذارها وإخفائها عن نظر الجمهور ، انتظارا لغلاء الأسعار ، وارتفاع الأثمان ، وطمعا فى الحصول على الربح الوفير ، والكسب الكثير .

وقد ذم الإسلام صاحب هذا الفعل ، وعده منه ظلما فى المعاملة ، وانحرافا عن المنهج الدينى الصحيح ، وورد فى السنة كثير من الآثار التى تصلح أن تكون أصلا لإطلاق النهى باطراد ، فى جميع أجناس الأقوات وما يعين دليها ، وفى غيرها من الحاجيات الأخرى ، المتعلقة بمصالح العباد ، مادام فيها شئ من عين الضرر ، أو من مبادئه .

• فمن ذلك ما روى : "أن من احتكر الطعام أربعين يوما ثم تصدق به ، لم تكن صدقته كمنارة لا احتكاره" ، ومنه أن "من احتكر الطعام أربعين يوما ، فقد برئ من الله وبرئ الله منه" ، وقيل : "فكأنما قتل الناس جميعا" ، وروى عن على رضى الله عنه ، "أنه أحرق طعاما محتكرا

بالتار، وما يؤثر عن بعض السلف الصالح، أنه جهز سفينة حنطة إلى البصرة، وكتب إلى وكيله فيها أن يبيعها يوم تدخل، وألا يؤخرها إلى غد، فوافق دخول السفينة اضطرابا في السعر، فقال التجار للوكيل أو أخرت البيع أسبوعا لربحت أضعاف ما تريخ الآن، فأخره أسبوعا فربح فيه أضعافه، وكتب إلى صاحبه بذلك، فكتب إليه صاحب الحنطة: يا هذا، إنا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا، وإناك قد خالفت، وما نحب أن نربح أضعافه بنهاب شئ، من الدين، فقد جنيت علينا جناية، فإذا أنك كآبى هذا، نخذ المال كله، فتصدق به على فقراء البصرة، وليتني بعد ذلك أنجو من إثم الاحتكار“ .

فانظر أيها التاجر المسلم إلى ما يتجلى في كتاب صاحب الحنطة من خلق كريم، ودين قويم، وجود عظيم، وإلى ما يفيض به قلبه المؤمن من تقوى الله، وخشية عقابه، وعطف على عباده، واذكر أن صنيعه هذا، كان في أيام رخاء وسلم، لا في زمان شدة وحرب، ثم خذ لنفسك بعد ذلك من فعله الجميل، وتدينه الصادق أسوة حسنة، وقدوة صالحة .

٢ - الدعاية والترويج :

يعمد بعض التجار إلى الإعلان عن بضائعهم بوسائل شتى من وسائل التعريف والاشتهار، ولكنهم يدخلون في ذلك شيئا من الدعاية الكاذبة، والترويج للسلع بما ليس فيها، ووصفها والثناء عليها بغير حقيقتها، فهذا أيضا مما نهى عنه الإسلام، وحذر منه، واعتبره كذبا وإسقاط مروءة من البائع، وتلبسا على المشتري وتقريرا به وظلما له في المعاملة، والواجب على التاجر المسلم أن يقتصر في وصف السلعة على ما فيها، مما لا يعرفه المشتري عالم يذكره له، من غير مبالغة ولا إطباب، وأن يكون قصده من ذلك تبيين الحقيقة لأخيه المسلم، حتى يرغب في الشراء وتتقضى بسببه حاجته، كما أن الواجب عليه أيضا، أن يظهر جميع عيوب المبيع، وألا يكتم منها شيئا، لأنه إن لم يفعل ذلك، كان غاشا والنش حرام، وكان تاركا للنصح في المعاملة، والنصح واجب، روى “أن النبي صلى الله عليه وسلم صر بربح يبيع طعاما فأعجبه، فأدخل يده فيه فرأى بللا، فقال: ما هذا؟ قال: أصابته السماء، - المطر - فقال: فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس، من غشنا فليس منا“ .

وروى أنه صلى الله عليه وسلم باع رجلا على الإسلام، فلما ذهب الرجل ليتصرف جذب النبي ثوبه، واشترط عليه النصح لكل مسلم، فكان هذا الرجل إذا قام إلى الساعة يديهها، بصير يديهها وخير المشتري، وقال له: إن شئت نخذ، وإن شئت فترك، فقيل له: إنك إذا فطمت مثل هذا لم يتفذلك بيع، فقال: إنا بآيةنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم . على أنه يجدر بالتاجر المسلم أن يذكر دائما أن إحناء العيوب وسرورها عن المشتري، لا يفيده شيئا ولا يزيد في رزقه شيئا، بل ربما يحرقه ويذهب بركته، وأن ما يجمه من طريق

الغش والتويه قد يهلكه الله دفعة واحدة ، ينبغي أن رجلا كانت له بقرة ، يحلبها ويخاط بلبنها الماء ، ثم يديه للناس ، يخاف سيل وأغرق البقرة ، فقال له أحد أولاده : يظهر أن تلك المياه المتفرقة ، التي كاخلط اللبن بها ، تجمت كلها دفعة واحدة ، وتكونت سيلا ، ثم أغرقت البقرة !! .

٣ — الأمانة في المعاملة :

كما نهى الله تعالى التاجر عن تلك المناهي المتقدمة ، أمره كذلك بعدة أمور دناه إلى محصيلها والأخذ بها في تجارته ، ومن أول هذه الأمور ، الأمانة في المعاملة ، فهي في الواقع رأس مال التاجر ، وسر نجاحه ، وعماد الثقة به ، وعنوان كمال دينه ، وقوة خلقه ، وطهارة ذمته ، وهي تتمثل في كثير من تصرفات التاجر وأعماله :

تتمثل في مقدار ضبطه ودقته في المعايير التي يقدر بها المبيعات ، من مكال وميزان وذراع وغيرها ، فإنه يجب أن يكون التاجر على أتم الحيلة والنصفه فيها ، بحيث لا يفوته شيء من تعديل الكيل والوزن والذرع ، وإلا فهو داخل تحت عموم قوله تعالى : (ويل للطففين ، الذين إذا اتكأوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنهم يخسرول) .

ولقد اعتبر من المطففين من خلط بالطعام ترابا أو غيره ثم كاله ، ومن وزن مع اللحم عظاما لم يجز العادة بمثله ، ومن إذا اشترى قمشا أرسله في وقت الذرع ولم يمده مدا ، وإذا باعه مده في الذرع ليظهر تفاوتا في القدر ، وكان بعض السلف ، إذا أخذ نقص نصف حبة ، وإذا أعطى زاد حبة ، حتى لا يقع في شيء من التطفيف المترص صاحبه للويل ، المذكور في الآية الكريمة .

وتتمثل أمانة التاجر أيضا في صدقه في بيان سعر الوقت ، وذكره على التحديد ، وعدم إخفاء شيء منه ، والابتعاد عن كل تلبيس وتغريير يؤدي إلى زيادة شيء على الثمن الملائم للسلعة ، يروي أنه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الأثمان ، قيمة بعضها أربعائة وقيمة البعض الآخر مائتان ، فذهب مرة إلى الصلاة ، وخلف ابن أخيه في الدكان ، يخاف أعرابي وطلب حلة بأربعائة ، فمرض عليه من حلل المائتين ، فاستحسنها ورضيها فاشترائها ، فمشى بها وهي على يديه ، ففتق يونس وهو نائم من الصلاة ، فعرف حلتها ، فقال للأعرابي : بكم اشتريت هذه ؟ ، فقال : بأربعائة ، فقال : إنها لا تساوي أكثر من مائتين ، فأرجع حتى ترددا ، فقال : هذه تساوي في بلدنا خمسمائة ، وأنا ارتضيها ، فقال له يونس : أرجع ، فإن النصح في الدين خير من الدنيا بما فيها ، ثم رده إلى الدكان ، ورد عليه مائتي درهم ، وخاصم ابن أخيه ، وزجره على فعله .

٤ — القناعة في الربح :

حقيق بالتاجر المسلم ألا يجعل هدنه في التجارة ، اقتناص الأموال من أي سبيل ، والوصول إلى الثراء بأية وسيلة ، وتصريف بضاعته بما فيه إرهاب الجماهير ، والغاوى الأرباح ،

بل يجب أن يكون عدلا في معاملاته ، منصفًا في أثمانه ، قانعا بالمعقول من الربح ، راضيا بالمقسوم له من الرزق ، فإن من قنع بالربح القليل أقبل عليه الناس ، وكثر معاملوه ، فيجنى من تكرر ذلك وتداوله ربحا كثيرا ، . . . كان على رضى الله عنه ، يطوف في سوق الكوفة بالذرة ويقول : معاشر التجار ، خذوا الحق واعطوا الحق تعلموا ، لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره ، وسئل عبدالرحمن بن عوف عن أسباب يساره ، فذكر منها أنه ما رد ربحا قط .

الشفقة على الفقراء :

هناك خصلة أخرى من خصال التاجر المسلم المتدين ، وهي تلى في جوهرها على نبالة نفسه ، ورفق إنسانيته ، وكال حاسيته ، وسمو ضميره ، وبقظة شعوره ، وتغلغل العاطفة الدينية في حنايا قلبه ، - تلك الخصلة ، هي الشفقة على الفقراء والبرهيم ، والرفقة لهم ، فلا بأس على التاجر أن يتزل لم لم عن شيء من الثمن ، وأن يبيع لم بأقل مما يبيع به للأغنياء ، ولا بأس عليه أن يعاملهم بالإمهال والتأخير مرة ، وبالتجاوز والإعفاء مرة أخرى ، . . . فمن المرويات أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا كان مسرفا على نفسه ، حوسب فلم يوجد له حسنة ، فقيل له : أما عملت خيرا قط ؟ ، فقال : لا ، إلا أنى كنت رجلا أدين الناس فأقول لفتيانى : ساحوا الموسر ، وتجاوزوا عن الموسر ، فقال الله تعالى : نحن أحق بذلك منك فتجاوز الله عنه ، وغفر له . وكان تاجر السلف رضوان الله عليهم ، يتظاهرون بالبيع نسيئة إلى الفقراء وذوى الحاجة ، وهم معتمرون ألا يأخذوا من إثم شيئا ، مساعدة لهم على التعفف ، وإيثارا للصدقة الخفية وأبغقاء للبر المستور .

هذه بعض وصايا الإسلام الحكيمة ، التي وصى بها التاجر المسلم ، نعرضها على أنظار حضرات التجار الأفاضل ، رجاء أن ينتفعوا بها ، وأن يسيروا على سننها ، فإن التجارة محك الرجال ، وبها يتمحن دين التاجر ، وتعرف نزاهته ، ويعلم مدى صلاحه وورعه .
وقديما قالوا : إذا أثنى على الرجل جيرانه في الخضر ، ورفاقه في السفر ، ومعاملوه في الأسواق ، فلا تشكوا في صلاحه .

وشهد عند عمر رضى الله عنه شاهد ، فقال له : اثنتى بمن يعرفك ، فأناه برجل فأثنى عليه خيرا ، فقال له عمر : أنت جاره الأدنى الذى يعرف مدخله ومخرجه ؟ قال : لا ، فقال : أكنت رفيقه في السفر الذى يستدل به على مكارم الأخلاق ؟ فقال : لا ، فقال : هل عاملته بالدينار والدرهم الذى يستين به ورع الرجل ؟ قال : لا ، فقال : أظنك رأيتة قائما في المسجد مهمهم بالقرآن ، يخفض رأسه طورا ويرفقه أخرى ؟ قال : نعم ، فقال : اذهب فاست تعرفه ، وقال للرجل : اذهب فائتنى بمن يعرفك .

فكرى يسين

الحج ركن من أركان الاسلام

والدعامة الكبرى في صرح الاجتماع

للاستاذ مصطفى الصاوي

لعل من أوضح الدلائل على أن الاسلام ، عنى أول ما عنى بوضع نظام الحياة البشرية على حال ، يمكنها من قطع مراحل الحياة في طمأنينة واستقرار ، أن جعل أركانها الأولى خمسة ومن بينها الحج :

ولعل من أكبر البراهين على أنه عنى بالناحية الاجتماعية عناية تامة ذلك التشريع الحكيم الذي كانت إحدى دعائمه فريضة الحج . ثم لعل من أقوى الدلائل على أنه تشريع حكيم ، وسياسة رشيدة ذلك الترتيب الذي نظمت على غراره مناسك الحج ومشاعره . فبني أركانه وفرائضه ومسئولياته من النظم الارشادية للجماعة الانسانية ما لو اتبعتها لسمدت في الحياتين ولسار ركبا في بيدااء الحياة الوعرة المسالك آمنة مطمئنا متهد الخطي موفور الأمن والسلام .

ولعل من أعظم الحجج على أنه التنزيل الرباني والوحي السماوي ان جعل كل اتجاهاته وأهدافه الى الروح وتهذيبها أولا ثم الى تنظيم الحياة البشرية ثانيا . وذلك خير ما يدعو اليه المصلح الاجتماعي . فاذا ما هدبت الروح استعدت للتوجيه وقبول الإرشاد . فلا عجب اذا كانت رسالة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم من ذلك اللون وهذا الطراز ، ولا غرابة اذا كانت ثمرة ناجحة قد وفقت التوفيق كله . وهل هناك طيب للاجتماع وطب للاجتماع خير مما أنزله خالق الاجتماع على طيب الاجتماع .

يحدثني وأنا أتحدث عن فريضة الحج أن آتى على المسامة موجزة من حياة ذلك الدين تبين لنا الغرض الذي كان يهدف اليه ، والغاية التي يرمى اليها ، والوسائل التي اتخذها ذلك المصلح الاجتماعي الأعظم حتى بلغ رسالة ربه وجمع شوارد النفوس وجوامع الأفتدة على مبدأ واحد . وحتى يكون منهم أمة وحقها القرآن بأنها (خير أمة أخرجت للناس) .

جاء ذلك النبي بذلك الدين على فترة من الرسل قد استحكمت فيها الخلاف بين البشرية الجالحة . فاستحالت من نظام ديني سماوي وضع أسسه الأنبياء المرسلون السابقون الى فوضى شاملة وانحلال خافي وتغلب للذاتية على ما يجب نحو الجماعة فاستشرت الأثرة ولسأسد الشر . حيث كانت حروب مشتعلة ، ونهب للاموال ، وسفك للدماء ، وذلك الى جانب مبدأ الاستباحة الغشوم الذي يفرض القوة على الضعف ، وفي ظلال ذلك المبدأ انتهكت الحرمات فحرمت

المرأة من حفظها من الحياة وسلب اليتيم ماله وقتل الولد خشية الإملاق، ووثدت البنت خوف العار، الى غير ذلك من تلك الأمور التي هي كفيلاء أنت تتحقق دولا وتبيد ممالك وتذر الأمم حديث الأمس وأقصوة التاريخ .

في ذلك الجلو الماتهب وهذا الوسط المذكور المكفهر ظهر ذلك المصلح الاجتماعي الأول محمد بن عبد الله فاتجه الى إصلاح المجتمع بالحكمة والموعظة الحسنة ، وما زال بالناس يبلغهم رسالة ربه ، وينشر آواء السلامة والسلام بينهم ، تدرجيا باخلاص وحرص على أن يحروا حياة السعادة ، ويكونوا مثالا عليا وهم يقابلون ذلك بالإيذاء والصد والتحدى حتى رتب حياتهم بعد أن رقق منهم المشاعر وأرهف الأحاسيس وعلمهم الصديق والوفاء والأمانة واحتمل الأذى والصبر على المكارة ، فكون منهم دولة فتية قوية ذات ملك عضود وذكر شروء تجتمع على كلمة التوحيد وتستقبل قبلة واحدة وتصدر في شؤونها الدنيوية والأخروية عن الدين وترد في كل رغائبها موارد هذا الدين فحسن حالهم وعزوا بعد ذل وأيسروا بعد الفاقة المستحكمة وانصرفوا عن حروب تأكل الأخضر واليابس الى سلم مهد لهم السعي في الحياة لتوطيد السكينة وإقرار الهناء والسلام ، واطمأنوا الى ذلك الدستور الجديد الذي سوى بين الناس جميعا حيث جعل من فقراته (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) و (لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى) وأصبح الناس في دين الله إخوانا ، نادمين على ما فرطوا في جاهليتهم فرحين بما أوتوا من هداية وخير ، مؤملين غفران ما مضى ، طامعين في المثوبة على ما يأتي :

كانت تشريعات هذا الدين كلها تهدف الى تكوين الأفراد أولا ، ثم الى تنظيم الجماعات ثانيا ، ثم الى توطيد الدولة ثالثا ، وتلك خير السبل للإصلاح الاجتماعي المراد .
وإذا كنا بصدد الحديث عن الحج وبيان أنه ركن من أركان الدين أولا ، وأنه الدعامة الكبرى في صرح الاجتماع ثانيا ، فأخلق بنا أن نتحدث عنه من ناحيتين :

الناحية الأولى - الحديث عن الحج باعتباره صلة بين العبد وربيه . وقربة يتقرب بها اليه .
الناحية الثانية - الحديث عن الحج باعتباره دعامة قوية في صرح الاجتماع ، ووسيلة من وسائل إصلاح المجتمع البشري العام ، وإذا كان العبد مستثولا عن إحسان الصلة بربه ، وكان في شديد الحاجة لأن يتعمد عما يغضبه ، ويتقرب من مرضاته ، كان لابد لنا من النظر في الحج ، وبيان الخطوات المقربة الى الله ، المباعدة عن النار والعذاب .

فأخطوات التي يحتويها الحج هي ما يأتي :

(أولا) أن التصديق به ركن من أركان الدين ، وتحقيق ذلك بالامتثال المصمم المحقق بالإحرام به خطوة أولى في طريق النجاة وسبيل الى الجنة .

(ثانيا) ذلك السفر الطويل الشاق ، وما يقتضيه من إنفاق للأموال ، وهجران للأوطان ، الخطوة الثانية الى الجنة .

(ثالثا) ذلك الطواف حول مبنى من المباني بعقيدة ثابتة يتلى قلب الطائف إجلالا
لرب البيت وعيناه بالدموع هتانة بالأسف والاشفاق من الله ، الخطوة الثالثة .

(رابعا) قهر النفس والزامها ترك عادة متبعة بالتجرد عن المحيط والمحيط وما كان المحرم
ليتركها أولا أنها أساس قبول الحج وصحته، خطوة رابعة فيها يتساوى السيد والمسود والخدام
والمخدوم .

(خامسا) قهر النفس بالهرولة في السعي بين جبلي الصفا والمروة، وفي ذلك من نسيان الوقار
وترك الذاتية الشخصية والتنازل عن كثير من عزرة النفس بقلب راض راخض، خطوة خامسة .
(سادسا) ذلك الوقوف بعرفات ذلك الجبل المبسوط المسطح وفيه من الشقاء والألم
بتحديد الزمن وغيره ، خطوة سادسة .

(سابعا) تلك الحصى والجمرات يجمعها ويقذف بها في مكان مخصوص كواجب من
واجبات الحج سابع الخطوات . خطوات كلها أيها السادة فيها من المشتات والأنتاب الشيء
الكثير، وهي موصلات الى رضاء الله تعالى وغفرانه قد جعل جزاءها الجنة وتكفير الذنوب
فقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) .
هذه هي الناحية العبادية في الحج وكفى بها وسيلة الى تهذيب النفس وإعداد الشخص
للكمال وتبئته لمصير ينتظره حتما .

أما من الناحية الاجتماعية :

فإن التزام الانسان أمر الحج واعتزاه تاديته مع ما فيه من المشتات لا تكون إلا عن
إرادة قوية صادرة عن عقيدة ثابتة وما أحوج الاجتماع الى وجودها في نفوس الأفراد وإن
مجتمعا كانت أفرادها أولى إرادة قوية صادرة عن عقيدة صادقة فهو خير اجتماع يبنى الدولة
ويكون الأمة على الوضع الصحيح .

وإن الإحرام بالحج وتأديته أعماله بانتظام والسفر على برنامج محدد تكوين لذاتية الفرد
وتصحيح لفكرته وعمله وذلك جل ما يهيم المتصلح الاجتماعي .

وإن التجرد من المحيط والمحيط لتعويد للنفس أن تتجرد من عوائدها وأن تستعد لقبول
الإصلاح مهما كلفها ذلك الإصلاح من ترك العادات والالزامات. وبيان للناس أن المساواة
أمر لا بد منه لسير الركب البشري في سبيل حياته، فالك ترى جميع الحجاج قد تساوا في الملابس
والعمل لا يفرق فارق بين سيد ومسود، ولا بين عظيم وحقير، وغني وفقير، وإن في الطواف
والسعي لأسراراً بديعة . فالطواف يرمز الى الآداب العامة حيث يعلم الجملة فلا يدخل على
غيره دون أن يستأذنه ويسلم عليه كما أن الطواف استئذان رب البيت وتسليم عليه وهي تحية
والتحايا على اختلاف الحيا فما أجمل هذا النظام .

إنا لو نظرنا الى الحكمة المتجلية في الطواف لارتاحت نفوسنا الى ذلك التشريع فأنها ترتفع بالأرواح الى القدسية التي يجب أن ترتفع اليها والتي لا بد لكامل النفوس البشرية منها. وإن في امتثال الناس أفرادهم وجماعاتهم الأمر البعيد السر عن ادراك العقل رمز للطاعة الصنخيجة والنظام الدقيق وإشارة للناس أن سيروا كإشارة أولى الأمر منكم في نظام وإيمان (وهل تبنى الدول ، وتدعم الممالك إلا على النظام والطاعة) ؟

أيها الناس ، إن في تشريعات الحج تقريراً لمبدأ الحرية والإخاء والمساواة قبل أن يخلق في فرنسا مبدأ الحرية والإخاء والمساواة . وأن في تشريعات الحج ومشاعره تقريراً للمبدأ الإذعان والطاعة والنظام ، وإن في تشريعات الحج توجيه التنفس إلى نسيان الذات وذكران الشخصية والاندماج في الجماعة والعمل لها قبل أن يعرف الناس شيئاً يسمى الجندى المجهول فلذلك ساد هذا الدين العالم ، واستولى على المشرقين والمغربين لكن عن طريق العقيدة والافتقار ، لا من سبيل القوة والحسام .

إنا لو نظرنا أيها السادة إلى تلك الفريضة بعين باصرة لتجلت لنا العبر وواجهتنا الآيات البيئات على أن المشرع كان يهدف أول ما يهدف إلى تصحيح الاجتماع وتنظيم الحياة على وضع صحيح وإقرار سليم ، فقد ربط بين الناس بوشائج الوداد وجعلهم متضامنين متعاونين إذ حدّد أحكام الحج تحديداً من ضل عنه كان جزاؤه التزول طوآءية واختياراً عن جزء من ماله لفقراء الحرم ومساكينه : أرأيتم تشريعاً يعاقب المسىء من بغي الإنسان بالترفيه عن أخيه الإنسان مثل هذا التشريع الحازم الحكيم : تشريع قدر ربط الأوصار وجمع الناس على مائة السلام ووطد العلائق فنعم هذا التشريع الحكيم .

فالإحرام بالحج معناه الشروع في عمل جديد يقتضي المحرم عناية جديدة وتغيير أسلوب الحياة الأول ، فلذا رمز إلى ذلك بالتجرد. عن أئزم العادات وهي اللباس الذي هو زى الإنسان ومظهر كرامته ومحل فخره وارتداء لباس جديد يناسب العمل الجديد . وإذا كان هذا واجبا على كل محرم فقد تحقق معنى المساواة ومبدأ ترك الفوارق بين الناس أجمعين . ثم هو رمز من ناحية أخرى إلى أن الإنسان يجب عليه إذا شرع في أمر ذي بال أن يترك غيره من الأعمال الأخرى ليتوافر عليه تماماً . وفي ذلك أمر من طرف خفي بوجوب اتيان الأعمال التي تسند إلى الإنسان (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) .

والطواف بالبيت العتيق رمز ظاهر إلى أن تكوين الدول والابقاء عليها إنما يكونان بتحديد الغرض والأهداف اليه كما تحدّد البيت الحرام غرضاً للطواف والقبلة يهدف إليه المسلمون جميعاً ، وهذا معناه أنه يجب أن يكون للمسلمين جهة ثابتة يرجعون إليها إذا مادهمتم الأحداث ، وإن في السعي بين الصفا والمروة أمر بالكد والكفاح في طلب ازرق

والجهاد ونهباعن التواكل والاستسلام . وهذا معناه أن الحياة بلا عمل موت . وأن التفاعد عن الأعمال مهلكة أى مهلكة : وإس أمر جمع الحمى ورميها على الوضع المعروف بأقل فى الأمر بالجد والعمل من السعى بين الصنى والمدوة، وإن فى الوقوف بعرفة لإشارة صريحة أو أمرا بأن من واجب المسلمين إذا أردوا الاحتفاظ بدولتهم واستبقاء مكانهم مرحوب الجانب موفور الكرامة أن يكون أمرهم شورى بينهم وأن يعرضوا ما جد من الأمور على مجموعهم للبحث والتحصيص والحكم لتوافر المواهب على إحسان التوجيه، فالوقوف بعرفة بمثابة مؤتمر عام يجمع أنواع المسلمين على اختلافهم ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معدودات وليتشاؤروا فى شؤونهم الدينية والدنيوية وفى هذا المؤتمر فائدة كبرى .

وإذا كانت الدول الراقية تعمل على عقد المؤتمرات الاقتصادية والفكرية والسياسية والعلمية والدينية فأحر بالمسلمين ألا يتخلفوا عن عرفات ذلك المؤتمر العظيم الذى فيه نجاحهم وفلاحهم فى هذه النواحي جميعا .

وإن فى طواف الوداع بعد الانتهاء من مناسك الحج لأ كبر برهان على أن الدين الإسلامى لم يهمل أمر الجمالة والآداب العامة فقد شرع طواف الوداع استئذانا من رب البيت بالرحيل كما شرع طواف القدوم تحية لرب البيت واستئذانا بالدخول، وفى هذا إشارة الى أن القادم تلمزه تحية رب البيت واستئذانه عند القدوم وعند الرحيل .

أرأيت أيها السادة تشريعا أفضل من هذا التشريع الذى عنى بكل شىء حتى بالمجاملات بين الناس والناس ، تشريع يربط العبادة بالاجتماع والاجتماع بالعبادة ربطا وثيقا .

هذه هى أركان الحج وتلك مشاعره ، وقد ذكرنا سر التشريع فيها وما تنفذه البشرية منها فى الآخرة من جنه ورضوان ، وفى الدنيا من نظام وتهذيب للاجتماع ، وهى بهذا الوضع عبادة وقربة وصله بين العبد وربّه أولا ، ثم هى بعد نظام اجتماعى خطير خلىق بأن يكون أمة ، ويتبنى دولة تستطيع أن تؤدى رسالة من خير الرسالات فى إسعاد البشرية وهناءتها تلك التى أهدف إليها القرآن فى كثير من آياته .

تلك الرسالة مداها تعويد الفرد قوة الإرادة وإتقان العمل وإحسان الأهداف وتهيئته لملاقة الأحداث وتصرفات القدر المستورة المنجية وإرشاده إلى آداب الاجتماع ونظام الاجتماع ومن مزاياها تكوين الجماعات من لبنات الأفراد الذين تقدم ذكرهم وتهيئة الأفراد وتكوين الجماعات يستقيم أمر الشعوب وتبنى الدول وتسعد البشرية فى حياتها وتصل إلى الفاية المرجوة فى سلام .

هذا هو تشريع الإسلام وتلك مزاياه وفضائله وهذى أسرار الحج وفوائده .

مصطفى الصاوى

مدرس بالمعهد الدينى ، وعضو رابطة الإصلاح الاجتماعى

في ميدان العمل الحر متسع للشباب المثقف

للاستاذ عيسى متولى

لقت نظري إعلان صغير في إحدى الصحف اليومية ، نشره شاب من خريجي التجارة المتوسطة ، يعرض فيه استعداداه لدفع تأمين مالي قدره مائتا جنيه ، نظير إلحاقه بوظيفة "محصل" في إحدى الدوائر ! ...

رثيت لهذا الشاب الذي فقد كل أول في ميدان العمل الحر ، فراح يسعى وراء وظيفة بسيطة ، لا يتعدى راتبها عدد أصابع اليد الواحدة من الجنيهات ، عارضا مبلغا محترما كهذا بمثابة تأمين لتلك الوظيفة ! ...

ولو أنصف هذا الشاب الذي تخرج في مدرسة التجارة ، لاأخذ من هذا المبلغ الذي يريد أن يقبره رأس مال يبدأ به عملا من الأعمال الحرة ، يدبر عليه أضعاف ما تدره عليه الوظيفة ، ولا سيما في هذه الظروف التي ظفر فيها أصحاب المهن الحرة إلى ذروة الثراء ... ولكنه هام حبا بالوظيفة ومظاهرها ، وقع بدخلها المحدود ، شأنه في ذلك شأن معظم شباننا الذين يتخرجون في مختلف المعاهد والكلية ، ويحصلون منها على أرفع الشهادات وأرقى الدرجات ، التي تؤهلهم لمزاولة الكثير من الأعمال الحرة ، وتكفل لهم الفوز والنجاح ، ولكنهم يحجمون عن مزاومتها ، ويعرضون عنها ، ويتهاقنون على الوظائف الحكومية تهافتا غريبا ، كأن مستقباهم قائم عليها وحدها ، فيقتصدون ذوى الحثية والجاه ، يتشفعون بهم عند أولى الأمر ، ويلتمسون منهم البطاقات والتوصيات ! ... فكان الأمانة الوحيدة للشباب بعد إتمامه الدراسة إنما هي "الوظيفة" ... مناط الأمل ، ومعقد الرجاء !!

وكيف تتسع الوظائف الحكومية لهؤلاء المئات ، الذين يتخرجون في مختلف المعاهد في كل عام ؟!

ولو حاولنا تحليل هذه الظاهرة السيئة ، أدركنا أن للنشأة الأولى دخلا كبيرا فيها ، فنحن لا نعود الطفل منذ صغره الاعتماد على نفسه في شأن من الشؤون ، فنشعره بمجزه دائما عن مزاولة أى عمل دون مساعدة يمدّه بها الغير . فيشب ضعيف الثقة بنفسه ، ويحجن عن مزاولة أى عمل حر ، أو القيام بمشروع من المشروعات ، لأنه تعود منذ صغره ذلك . تعود أن يكون له في كل عمل معين يعينه على أدائه . فنحن نشفق على الطفل أن يجهد نفسه في عمل من الأعمال ، ونحمل عنه الأعباء كلها . حتى كتبه المدرسية نغفيه من حملها

عند ذهابه إلى المدرسة وعودته منها ، فنبعث برقته من يحمل له كتبه وأدواته . وهذا لون من ألوان التدليل الذي يضر بالطفل ضررا بليغا ، لأننا نفقده عادة حميدة يجب أن تلازمه منذ صغره لتفيدة في رجولته ، وهي الاعتماد على النفس والثقة بها . وهي خير سلاح يزود به الشباب في معترك الحياة ! ...

أنظروا كيف يشق الأجنبي طريقه في الحياة ، بملاً صدره الأمل وينير له طريقه ، ويحفزه إلى السعي دون أن يتطرق إلى عزيمته وهن ، ولا إلى نفسه قنوط ! ...

يقصد الأجنبي بلادنا خالي الوفاض ، ويقتحم ميدان العمل الحر ، فإذا به بعد أعوام قلائل من أصحاب الأعمال الكبيرة ، ذلك لأنه لا يستنكف عن مزاوله أى عمل ، ما دام هذا العمل شريفاً ، يدرّ عليه ما يقيم أوده ويغنيه عن الغير... فتراه يعترف مختلف المهن والصناعات التي يستنكف بعض شبابنا احترامها ، ثم يتقدم في هذه الصناعة شيئاً فشيئاً حتى يجيدها ويتقنها ، فيتسع نطاق أعماله ، وتزداد ثروته ، ويتضاعف رأس ماله . وهكذا يعرف الأجنبي كيف يخوض غمار الحياة العملية ، سلاحه الاعتماد على النفس ، وشعاره المثابرة والدأب ، ورأس ماله الجهد والكفاح !

أذكر أنني مررت في مرة بمتجر صغير للشاي ، يملكه رجل أجنبي ، في أحد شوارع القاهرة ، واشترت منه يومئذ كمية من الشاي ، فلم يكن بهذا المتجر الصغير سوى صندوق واحد من الشاي ، بل ولم يكن صاحبه يملك ميزاناً ، فلجأ إلى جاره لي يميزانه . . . ومرت الأيام . . . فإذا بهذا المتجر يملأ شيئاً فشيئاً بصناديق الشاي ، وأخذت أتبع تقدمه كلما مررت بطريقه ، فإذا به بعد أشهر معدودات متجر محترم ، زاد عدد عملائه ، وامتلاّت جنباته بصناديق الشاي والبن معا ، ولما لمس الرجل هذا الاتساع استأجر المتجر الذي يجاوره ، وخصصه لتجارة البن وطلحنه .

ومررت بهذا المتجر أخيراً ، فراغني ما شاهدت ! . . . شاهدت متجراً عظيماً ، علقته على واجهته لوحة كبيرة ، كتب عليها "مخازن الشاي ومطاحن البن الكبرى" تدار مطاحنه بالقوة الكهربائية ، وعلى إحدى مناخده (التليفون) وبه موازين كثيرة من مختلف الأحجام . . .

أرأيتم كيف بدأ هذا التاجر عمله صغيراً ، لا يملك ميزاناً يزن به بضاعته ؟ ؟ . فإذا به بعد أعوام قلائل من أصحاب الأعمال ؟ .

إن الفضل في ذلك إنما يعزى إلى اجتهاده ، ودأبه ، ومثابرتة على العمل . .
هذا مثل من أمثلة كثيرة ، نلمسها في كثير من المناسبات ، ونشهدها في كل يوم . .
ولقد شاهدنا في السنوات الأخيرة فريقا من رجال التجارة وأصحاب المهن الحرة قد استفادوا
كثيرا ، وربحوا كثيرا ، فلقد يربح أحدهم في صفقة واحدة ما يعادل أو ما يفوق مرتب
موظف في عام بأكلمة ؟ .

هؤلاء العمليون الذين ابتمت لهم الحياة لم يتالوا ما تالوه ، ولم يبلغوا ما بلغوه ، عن
طريق الوظائف والتوظيف ، إنما تالوه بفضل الاعتماد على النفس والإيمان بها . . ثا
المرإذن في تهاقنا على الوظيفة ؟ .

سلوا الموظفين عن هذه القيود التي تقيدهم بها الوظيفة . . ولا يستطيعون التحرر
من ربقتها . .

سلوهم . . يقولوا لكم الشيء الكثير . . ويتمنوا لو أن الأقدار هيأت لهم غير ما هيأت .



من الواجب أن يوجه الشباب جهوده إلى ميدان الأعمال الحرة ، فيستغل كل منهم
مواهبه العلمية في الناحية التي تخصص فيها .

فخريجو الزراعة المتوسطة وكليتها . . لماذا لا يستثمرون مواهبهم العلمية في النواحي
التي درسوها ، فيقبلون على إحياء الصناعات الزراعية في بلاد زراعية تفتقر إلى صناعات
زراعية ؟ .

وخريجو التجارة المتوسطة وكليتها . . لماذا لا يستثمرون مواهبهم العلمية في ميادين
التجارة ، وهم أجدر الشباب بمزاولة الأعمال التجارية ؟ !

- وخريجو المدارس الصناعية . لماذا لا يستثمرون جهودهم في إحياء الصناعات التي نحس
بم حاجتنا الماسة إلى قيامها ، ولقد لمسنا مدى هذه الحاجة بعد قيام الحرب وانقطاع معظم
الواردات الصناعية من الخارج . . .

قد يعزى بعض الشبان سبب إجمامه عن مزاولة الأعمال الحرة إلى افتقاره إلى رأس
المال الذي يبدأ به عمله ، أو الأرض التي يريد استغلالها ، وهذه ولا شك عقبة كأداء ،
يجب ألا نغفلها أو نستهن بأثرها ، تفعد الكثيرين عن تحقيق مشروعاتهم ، وعلاج هذه
المشكلة إنشاء بنك صناعي ، يمد هؤلاء الشبان بسلفيات صناعية ، تسد على أقساط سنوية
بفائدة بسيطة ، تمكنهم من تحقيق مشروعاتهم ، بعد دراسة هذه المشروعات ، والتأكد
من نجاحها ، وأشرف لجنة حكومية على كل مشروع تمد الحكومة صاحبه بالمال اللازم .

كما أن نظام الاقطاعات الزراعية للحريجي الزراعة يذلل هذه العقبة ويساعد على استغلال الأراضي البور ، ويتمسح مجال العمل الحر أمام هؤلاء الشباب المثقفين . .

استعينوا بسواعد الشباب في تحويل هذه الأراضي البور إلى جنات معروشات ! . .

ولا يفوتني هنا أن أشير إلى ظاهرة سيئة ، وهي أن بعض أصحاب الثروات في مصر يؤثرون تكديس أموالهم في الخزائن عن استثمارها في مشروعات صناعية مفيدة ، ولو أن هذه الأموال المخبوسة وجهت وجهة صالحة ، لآتت أطيب الثمرات ، ولتفتح باب الرزق للكثيرين . . ولكنهم - مع الأسف - حبسوها في الخزائن ، وأقاموا عليها من أنفسهم حراسا ؟ ! .

»

بقى على أن أشير إلى نقطة هامة في الموضوع ، وهي "المركز الاجتماعي" أو "المكانة الاجتماعية" للموظف ولصاحب العمل الحر ، فحين لا ننظر إلى التاجر نفس النظرة التي ننظرها إلى الموظف ، الذي ننزله مركزا اجتماعيا أرفع وأسمى . . فإذا تقدم رجل من رجال الأعمال التجارية لخطبة فتاة ، آثر أهلها زواجها من موظف حكومي عن زواجها بالتاجر . وكانت حجتهم في ذلك أن التاجر عرضة للإفلاس ، ونسوا أن الموظف كذلك - مهما كان مركزه الأدبي - عرضة للفصل في أي وقت لسبب من الأسباب !

لذلك نرى الموظفين يتمتعون بمكانة اجتماعية رفيعة ، ولعل هذا عامل من عوامل تعلق شبابنا بالوظائف . . وهذه بعض "مغريات الوظيفة" . . . حتى أننا نرى في بعض الدواوين والمصالح فريقا من أبناء الأغنياء يشغل بعض الوظائف ، لا لحاجته إلى مرتبتها بل احتفاظا بمركز ملحوظ في الهيئة الاجتماعية ! . . ومنهم من يتفق راتبه ثمنا لبتزين عربته ، أو ثمنا للفاقات التبغ التي يقدمها لزواره ؟ ! . .

»

إن في ميدان العمل الحر لمتسعا للشباب المثقف . . فليول الشباب وجوههم شطره ، وليتخذوا من هذا الميدان الحر حلبة سبق ، ومضمار منافسة ، تتنافس فيه المهتم ، وتتسابق العزائم ! . .

شباب فنع لا خير فيهم وبورك في الشباب الطامعينا

عيسى متولى

قصة اجتماعية

النغم المبتور

بقلم سمير . م

على ساحل البحر ، حيث تتوسد الشاطئ إحدى المدن الساحلية المصرية . وفي هجعة الليل حيث المدينة وسنانة ، وحيث أهلها ينعمون بنوم هادئ لذيد ، تاركين للغد كل ما يتمخض عنه الغد ، بدأ " عبد العظيم " ينفض عن عينه ثوب الكرى ، وينظر إلى البحر الهادئ الساكن نظرة المحب العاشق أو نظرة الابن البار لأمه العطوف الحانية ، والحق أن " عبد العظيم " كان مدينا للبحر دينا لن ينساه في حياته حتى لو أعمد أن ينسى . فلم يقتصر فضل البحر على عبد العظيم فقط ، وإنما فضله يثمر والديه وجده وقد يتصل الفضل بسلالته كلها أو جلها ، فوالد عبد العظيم كان يشتغل بصيد السمك من البحر وإرثا المهنة عن والده ، ولا يزال المترددون على شادر السمك في تلك المدينة يذكرون عم " مسعود " الصياد ، ويذكرون كيف كانت حلقة السمك تتعش كل يوم على يدى عم مسعود .

وكان للفقى عبد العظيم ولع كبير واستعداد طبيعي للفناء ، وقد يكون للمدينة وما يحيط بها من مفاخر الطبيعة الساحرة الدافع الأكبر لتنمية مواهب الفقى وتقوية استعدادة ، إذ كان يعيش في مدينته سعيدا خالى البال يملأ شاطئ البحر بنغماته الساحرة الفاتنة ، قائما بالقروش الستة التي كان يتناولها من المعلم " سفروت " الصياد صاحب الزورق الذى كان يساءده في صيد السمك ليلا ، فكان ينام النهار ويستيقظ الليل ليباشر عمله مع الصياد ، وكان الصياد معجبا بمساعدة الفقى ، ويشعر بحزين وشوق كلما قاب عنه فيحرم من صوته العذب ونغماته الرقيقة .

فاللقى فنان بالسليقة يجمع في أنغامه بين روح الطبيعة وروحه ، ويعبر بصوته عن شكواه وحنينه ، كما يعبر عن شكوى البحر في هدوئه عند هبوب الرياح ، وعن شكوى الرياح وأينها عند هبوبها في رحاب السماء ، وكانت الطيور تصغى إلى أناشيده وتتلقنها منه ، فكان البلبل يقلدها في تغاريدته ليلا ، والقبرة عند بزوع الفجر .

طار صوت الفتى على طول الساحل فكان عمال الساحل يقصدون الشاطئ ليلا يستمعون إلى الفتى الموهوب فينسون الآلهة المهيبة وهم يستمعون إلى الصوت الحنون واو إلى حين ما . وكان أشد هؤلاء افتئانا وحرصا على سماع الفتى فتاة حلوة القسما ناصحة الأنوثة غضة الاهداب ليس لها في الحياة من ناصر أو معين سوى أمها التي تحترف طحن الغلال فكسب من يومها قروشا تضيفها إلى ايراد ابنتها من بيع البرتقال على شاطئ البحر للعمال والصناع فيغلبا بها على ضروريات الحياة .

شغرت الفتاة وهي في ترددتها على الشاطئ بدافع خفي يدفعها نحو الفتى صائد السمك ، وكان صوته الحنون الذي يحوى في ثناياه أسى ولوعة يجدان صداهما في نفس الفتاة المحرومة من عطف الحياة ونعيمها فيظل في نفسها شعور بالتعزية والاحساس بأن في الحياة من يشاركها ألمها وشقوتها ، وكنيجة طبيعية لهذه العاطفة التي سرعان ما وجدت استجابة لها من ناحية الفتى الذي عثر في فتاته ماهرة تتمتع أمام موهبته مغاليق الروح وتستخرج من قرارة نفسه كنوز الفن ، تعاهد الفتى والفتاة أن يكونا لبعضهما حتى الموت وأن الايام لن تستطيع أن تفرق بينهما أو تنال من عهدهما .

واهدى الفتى أخيرا إلى طريقة تزيد من إيراده وتنقذه من ورطته ، فكان في وقت فراغه يصعد على ظهر البواخر التي ترسو في الميناء فيمارس أمام الأجانب بعض الألعاب الحوالة والشعوذة التي تعلمها من زملائه في البحر ، فكان يظفر منهم بقروش يسيرة أمكنه أن يجمعها فصارت مبلغا لا بأس به دفنه في جهة معلومة من رمال الشاطئ .

شعر الفتى بعد أن تعاهد مع فتاته أنه قد تعرض لمسئولية جديدة عليه ، لا بد له أن يتحملها مهما كان الأمر ، فهو في حاجة إلى زيادة إيراده حتى يمكنه أن يوفر جزءا استعدادا للزواج ومطالبه ، ويعطى الباقي لوالدته العجوز كي تضيفه إلى ربحها البسيط من بيع الجرجير والليمون والفجل وتنفق منه على أفراد الأسرة المكونة منها ومن أولادها الثلاثة وأصغرهم عبد العظيم ، كان الاخوان الكبار لا يعمل لهم في الحياة إلا الأكل والنوم والاعتناء على كسب أمهما وعبد العظيم ليدفعا منه ثمن النارجيلة ولعب الورق في المقهى .

وفي ليلتنا هذه التي بدأت فيها حوادث هذه القصة ، وبينما كان عبد العظيم يتجه إلى زورق عم "سفروت" الصياد ليستأنفا عمهما في صيد السمك بمصاحبة صوت عبد العظيم الطروب ، رأى الفتى مصباحا يتجه حامله صوب الزورق ، ودور يرق ضوءا مضطربا يرشد حامله إلى الطريق ، فتأمل عبد العظيم المصباح برهة ، فظنه لأحد النوتية الذين يعملون بالليل ، وهم يستأنف المسير ، إذا بصوت خافت مضطرب تخالطه نبرة من حزن صرير يصيح .

— عبد العظيم ... عبد العظيم ...

— من ... أمينه ؟

— أجل ... أين أنت ؟

فتقدم منها الفتى وأخذ بيدها المرتعشة وهو ينظر إليها نظرة المستطلع لأمرها المتالم لها ، ولما رأى الفتاة تعاني رعدة تملكها من فرعها إلى أنحصر قدمها أجلمها على صخرة من صخور الشاطئ وسألها عما جاء بها في مثل هذا الوقت ؟ وبعد برهة أجهشت الفتاة بالبكاء المرير واستطاع الفتى أن يفهم من كلماتها المختلطة أنها بينما كانت راجعة إلى البيت شعرت بانقباض شديد لا تدري سببه ، ثم سرعان ما انجابت لها الحقيقة عندما وبلت بيئها ورات أمها ماقامة على الأرض جثة هامدة وليس بجانبها من يغمض عينها ساعة الموت أو يسقيها جرعة من ماء .

دمعت عينا الفتى لسلم نال فتاته وتقدم منها في لوعة نائرسامات يطلب إليها أن تبكي ، فإن انقباس دموعها في ماقمها لأشد خطرا من هطولها . ثم تركها في غيبوبة الألم برهة عاد إليها بعدها وهو يحمل المبلغ المدخر كي يرافقهها إلى حيث ترقد أمها التعسة .

وبعد أن قام الفتى بواجبات الجنائز والدفن اصطحب الفتاة إلى أمه لتجعل منها ابنة ولتتخذها هي أما بعد أن عدت الأم وفقدت آخر الأهل .

ولم يعد هناك ثم ما يدعو إلى تأجيل الزواج ، فسرعان ما تم بعد أن انتهت أيام الجداد ، فأقامت الفتاة في بيت أسرة عبد العظيم ، وأبى الفتى أن تعود زوجته إلى الاشتغال ببيع البرتقال على الشاطئ فكفاهم ما يكتسب هو وأمه ليقضى حوائج الأسرة ويقوم بأودها .

وقد لا يعرف عبد العظيم حتى الساعة أن زوجته كانت تساعد أمه خفية في بيع الفجل والجرجير عندما تطلب منها الأم ذلك ، فقد كانت الفتاة تحرص على ألا يعرف زوجها هذا الأمر فيغضب من أمه وما يتبع هذا الغضب من أمور .

ظلت السفينة تسير في طريقة حاملا أسرة عبد العظيم والريح لا بأس بها وألجو معتدل حتى ثارت الزوايع وعصفت الرياح فانصدعت الدفة واختل توازن السفينة ، وكان ذلك بينما عبد العظيم يعتلى سارية الزورق ليطوى "القلع" إذ انزلت قدمه فوق على سطح الزورق وهو يعاني ألما لا يطاق في ساقه اليمنى ، ولم يدر الفتى نفسه شيئا من ذلك إلا بعد أن استفاق في المستشفى بعد أيام وهو طريح سرير من أمرتها .

ويعجزنا أن نصور شعور الفتى ربيب البحر واهز الطبيعة القوي وهو يرى نفسه في إحدى الليالي طريحا في فراش يصرخ كل ما حوله بكلمة "مرض"، ولم يفهم الفتى بادئ بدء حقيقة ما حدث له، ولكنه عند ما استمد من ضعفه قوة وتحامل على نفسه ليقف على قدميه وي طرح عنه ثوب المرض لم يشعر إلا وقدماه تهويان إلى الأرض فينكفئ على وجهه وقد صرخت في أذنيه الحقيقة المروعة. لقد قطعت ساقه !!!

أمكن هذا؟ أمن المعقول أن ينقلب الصحيح ناقصا، والسليم معنلا، والقوى ضعيفا؟ أجل ممكن، وهكذا شاءت الأقدار.

ظل عبد العظيم في إنغمائه مطروحا على الأرض بعد أن تبليجت له الحقيقة القاسية ما يقرب من الساعتين حتى طلع الفجر، وانتشر المرضون يطمثنون على المرضى في المستشفى وإذا بهم يعثرون على الفتى وهو في رقدته فيحملونه إلى سريره، ويعملون على تئيبه حتى إذا أفاق ظل يتفرد في وجوههم بذهول يكاد يدنيه من الجنون، وهم يجاهدون بكلماتهم الموانية أن يهونوا من خطبه ويخففوا من مصابه، ولكن ماذا تجدى الكلمات نفعا أمام هول الواقع.

بارح الفتى المستشفى وهو يتوكأ بسد على عصى هي في الحقيقة فرع جاف لإحدى الأشجار، وييده الأخرى يتعامل على زوجته المخلصة أمينة التي أبت بعد أن ألت بمصاب زوجها أن تبارح باب المستشفى أكثر أوقاتهما، انتظارا لخروج زوجها وارثقا بالأخبار. ويتصادف أن تكون الزيارات ممنوعة للمرضى فتعذر عليها أن تزور زوجها الطريح، ولم تأبه لنصح المرضين ولا الأطباء بالذهاب إلى منزلها ولتطمئن على سلامة زوجها. ولكننا ظلت أكثر الأيام بجوار المستشفى نتطلع إلى نوافذها راجية أن تحظى برؤية زوجها حتى إذا نال منها التعب آت إلى منزلها بقلب كبير ونفس متوجمة.

وعندما علمت الزوجة بما حل بزوجها بعد أن رأته يغادر المستشفى وهو مجرد خلفه ساقا واحدة، لم يظهر عليها أثر الصدمة التي نزلت بها فزلزلت مكانها، ولكنها تحماتها بصبر وشجاعة، ولم يبد عليها أنها قد ألتت بالألمصاب، فكانت تتم وهما في طريقهما بعبارات التشجيع والمواساة، بينما كان قلبها يتفتت ألما، وكبدها يذوب مرارة.

وفي المنزل استقر بالفتى المقام حيث اجتمع حوله نفر من الصحاب والزملاء والأقارب ولكن مرعان ما انفضوا من حوله بعد أن جاد كل منهم بما فتح الله عليه به من العبارات الملائمة للوقف.

لم تمنح أيام قلائل على استقرار الفتى بالمنزل حتى برمت به أمه بل وصارحته من أين تطعمه هو وزوجه ؟ فحز الألم في نفس الفتى ، ولكن الزوجة المخالصة لم تدعه يتألم طويلا ففى اليوم التالى خرجت فى البكور قبل أن يتسحر زوجها وذهبت الى صاحب المطبخ الذى كانت تعمل فيه أمها ورجته أن يقبلها فى مكان أمها ، وظلت تستدر عطف الرجل وشفقته حتى قبل وعين لها أربعة قروش فى اليوم فرحت بها الزوجة الشقية وحملتها آخر اليوم الى والده زوجها ، بينما كان الزوج يتقطع أسى ويمزق ألما لاضطرار زوجته الى الخروج للحصول على قوته وقوتها .

وفى ذات يوم أمكنه أن يتوكأ على عصا ويذهب الى إحدى الجمعيات الخيرية يسألها أن تساعد الجماعة فى إيجاد عمل له ، فعينه الجمعية مؤذنا فى أحد المساجد التابعة لها لقاء جنيه فى الشهر ، فكان الفتى يقوم فى الفجر ليؤذن للصلاة ، فيدوى صوته فى المدينة رائعا ساحرا يحوى الى جمال الصوت جلال المعنى وعظمة الدعوة ، فكان الناس يجردون فى المؤذن الجديد داعيا يهيب بهم الى اللجوء الى واحة الدين ، فتصل دعوته الى أعماقهم وهى تهتف بهم فى الكلمتين الصغيرتين فى مبناهما الكبيرتين فى معنهما " الله أكبر " فتجد قلوبا متفتحة ، وآذانا صاغية ، وعقولا واعية .

وكان عمله كمؤذن فى المسجد فرصة لاتصال الناس به واستطلاعهم أمره وعظمتهم عليه ، فمنهم من كان يساعده بما يجود به ، ومنهم من كان يتطوع بنصحه بامتهان مهنة توافقه ، ومنهم من يعرض عليه أن يجي له ليلة زفاف لقاء عشرة قروش أو ليلة مأتم لقاء خمسة قروش .

وهنا بدأ عبد العظيم يتمتع بصيت لا بأس به كمن ومقرئ حتى أن أحد وجهاء المدينة سمع به يوما فدهاه لإحياء ليلة مرور أسبوع على مولد طفله نقده فيها خمسين قرشا ، لم يكن الفتى يحلم بها أجرا فى يومه . وقد حدث زميلا له كان يصطفيه من صائدى السمك بما كسبه من الحفلة ، فشجعه زميله وقال له إنه يكسب أكثر لو نزع الى القاهرة ، ففيها محطة الإذاعة ، وهى تشجع أصحاب الأصوات الحسنة وتنى فيهم مواهبهم وتقوى استعدادهم . وبعد تردد يسير اختمرت فى رأس عبد العظيم فكرة الزواج الى القاهرة ليحرب حظه فيها عسى أن يتسم له الحظ بعد طول عيوس .

وشاءت المقادير أن تساعد على تحقيق رغبته فأمكنه أن يدخر مبالغ يمكنه وزوجه من السفر الى القاهرة ، فبدأت أصابعه تقبض على المبلغ حتى هرع الى زوجته مصطحبا إياها صوب المحطة حيث ابتاع تذكريتين فى القطار المسافر الى القاهرة .

وفي محطة القاهرة وقف القطار ليضم الى القاهريين وافدين يجدهما الرجاء ويدفعهما
الامل ، ولم يكن لعبد العظيم في القاهرة أهل أو معارف ، ولم يفكر ساعة أن امتطى القطار
من مدينته في أى مكان يذهب عند وصوله الى القاهرة . لذلك اصطدم بهذه المشكلة الجديدة
أين يذهب ، وكيف يسير ؟

جلس الزوجان في ميدان المحطة على افريز الشارع أمام إحدى المقاهى : الزوج يتوكأ على ساق
خشبية صنعها هو بنفسه من أخشاب الصناديق والأشجار بقاءت غير مهذبة وإن كانت تنفى
بالعرض المطلوب ، وكان يرتدى جلباباً قذراً فوقه سترة ممزقة وطربوشاً بالياً . أما الزوجة
فكانت تجرجر خلفها أسملاً بالية تسترها بملاءة ليس فيها شبر واحد سليم وتفتعل نعلات تبرز
منه أصابع قدميها الخمسة .

كانا في جلستهما يمتلان البؤس والفاقة بأجلى معانيهما ، فعلى وجه الزوج تلوح دلائل
الحيرة ، وفي عيني الزوجة يرقق بريق الحرمان وجور الزمان .

لاحظ جلستهما واحد من يجلسون في المقهى ، فتملكه الفضول ، فانتقل بكرميه الى
جانبيهما وسألها لماذا يجلسان هكذا ، فقص عليه الفتى قصة ، فثأر الشاب بقصتهما خصوصاً
بعد أن رفع عبد العظيم عقيرته بالغناء ليثبت للشباب صدق قوله ، فدعاها الشاب واسمها احمد
الى تمضية الليلة في منزله حتى إذا أصبح الصباح وجد لها مخرجاً ، فكان العرض هو كل
ما يرويه عبد العظيم ، فسرعان ما انتقاد هو وزوجته الى أحمد الذى اصطحبهما الى بيته حيث
يعيش مع أمه العجوز .

وفي صباح اليوم التالى اصطحب أحمد افندى الفتى عبد العظيم الى أحد أقربائه من
ذوى المكانة العالية كي يعصل منه على توصية لمحطة الاذاعة ترشح عبد العظيم للعمل فيها ،
ولسوء الحظ وجد الرجل متغيباً في ضيعته فاحتاراً ماذا يفعلان ؟

ويتعمد أن كان مسيرهما في طريق محطة الإذاعة ، فسأل الفتى عبد العظيم وهو
الواقف الجديد على المدينة عم يكون البناء الكبير الذى إلى يمينته ، فالتفت أحمد وقال له :
إنه . . . محطة الإذاعة .

دوت هاتان الكلمتان في رأس عبد العظيم وتمثل فيهما أماله الذى أتى ليحققه وحياته
التي سافر ليؤسسها ، وزوجته التي هاجر ليسعدها .

لم يشعر أحمد افندى إلا وعبد العظيم ينعطف إلى باب المحطة فيلججه كي يصدده بواب
المحطة سائلاً : إلى أين ؟

— إلى مدير المحطة

— أليكم موعد معه ؟

— كلا وإنما أرسلني له أحد الباشوات بخطاب إليه

— إذن اعطني الخطاب وسأرسله وسيطلبك بعد ذلك

— كلا سأعطيه الخطاب بنفسى .

فلم يجد البواب بدا من الذهاب إلى مدير المحطة وإخباره بأمر الزائر الغريب . وقد يكون وصف البواب لحال الزائر ومظهره أثرى نفوس المدير دعاه لسماعه له بالدخول ، وقد يكون لتوصية الباشا الدافع الأكبر ، على كل فقد دخل عبد العظيم إلى غرفة المدير الفخمة يتأملها بإعجاب وافتتان وهو يتوكأ على رجله الخشبية التي تحدث صوتا منتظما كلما خطا خطوة .

— سأله المدير .

— أين توصية الباشا .

— ليس عندى توصيات من أى مخلوق ... ولكن عندى توصية من الخالق .

أعجب المدير بإجابة الفتى البأس فسأله الأمر فقصه عليه ، فقدم المدير إليه جنيتها ودعاه لزيارته في اليوم التالي ليعلن صوته ، فانحنى الشاب على يد المدير يقبلها وقد أغرورقت عيناه بالدموع ، ولم يلبس وهو خارج أن يطلب من المدير أن ينه على البواب كي يسمح له بالدخول في اليوم التالي .

* *

وفي اليوم التالي بدأ عهد جديد يحتوى المطرب الناشئ " عبد العظيم مسعود " فما لبث مدير المحطة أن وجد في الفتى جوهرًا نادرًا ، ولكنه خام يحتاج إلى الصقل والتهديب حتى يصير آية فينة وتحنفة نادرة ، فأجرى له مرتبًا شهريًا حتى يتم الفتى دور التعليم والتلقين وأعطاه رداء كاملاً من أرديته ، وكان الفتى على نبىء كبير من الذكاء فمرعان ما تعلم العزف على " العود " وتميز النغمات وضبط الحركات والإيقاع ، ثم ما لبث أن تقدم لعمل " البروفة " النهائية فنجح نجاحًا باهرًا أمكن للمحطة بعده أن تعلن عن عشورها على مطرب نادر سيخلب الألباب ويميز الأفتدة ، وكانت الدعاية التي سبقت الفتى لفتت أنظار الجمهور فقلل يترقب يوم إذاعته بصبر فأرغ حتى حل اليوم المرتقب .

ولن نتحدث عن نجاح المطرب الجليل فكفى أن مدير المحطة بعد أن سمعه بكى، أجل بكى من روعة الأداء وبجمال الصوت وسحر التفريد .

ولن نتحدث أيضا عن زوجة المطرب الجليل وهي تستمع إلى راديو المقهى المجاور للمنزل الذي استأجرا غرفة منه، أثنائها حشية ووسادة وغطاء، لقد اغرورقت عينها حتى أيضا بالدموع بعد أن استمعت إلى أكف جلساء المقهى وهي تكاد تنقطع من التصفيق وهم انفرط نائهم بالصوت البديع يكادون يخرجون عن شعورهم فيقبلون آلة الراديو إعجابا وافتئانا .

نجاح المطرب "عبد العظيم مسعود" وظل يرقى من نجاح إلى نجاح وينقل من مجد إلى مجد ومن انتصار إلى آخر حتى شعر المطربون القدماء بمنافس قوى أصبح ينازع كبيرهم مكانته ويكاد يقضى عليه ، ولكن ماذا يفعلون، انها هبة الله، وان نستطيع مهما أوتينا من قوة أن نمنعها عن أحد .

أصبح المطرب يسكن مع زوجته شقة نفحة أثنى بأناث الخفم، وأمكنه أن يتناح سيارة جميلة يستعملها في غدواته وبروحاته، وصار الموسيقيون الكبار يتمنون لو ظفروا بالانضمام إلى فرقته ، حتى صارت فرقته أعظم فرقة موسيقية في القطر، وحتى صار اسمه أشهر من الشهرة نفسها ، وكان أصحاب الحوانيت يسمون حوانيتهم باسمه وازياءهم بلقبه "المطرب عبد العظيم مسعود".

تلا هذا الاسم في طول البلاد وعرضها ، وسرى سحره إلى البلدان الشقيقة فصارت العقود تترى عليه والحفلات في مختلف البلاد تنهال من حوالبه ، والحظ ما زال يواتيه ، ونجته ما زال في صعود .

لم ينس عبد العظيم أن يرسل لأسرته مبلغا كل شهر يستعينون به على قضاء حوائجهم، وكذلك لم ينس أن يقول لزوجته إن طبيعة مهنته تتطلب أن يوهم الناس أنه أعزب حتى يجد سوقا أروح ، فما كان من الزوجة المحبة لخير زوجها الا أن توافق وتدعى أمام زواره ساعة أنها أخته وساعة أخرى أنها خادمتها .

وكان المطرب كثيرا ما يصطحب أو يستقبل في منزله سيدات وأوانس يزعم لزوجته أنهن يدعونه لحفلات³، وكانت المسكينة تصدق وقد يتصادف ألا يكون بالمنزل خدم فتقدم للزوار القهوة باعتبارها خادمة .

وفي يوم من الأيام تعزف المطرب الكبير وهو في أوج مجده وبين نجبة من أصدقائه الذين التفوا حوله من علية القوم وأرباب المناصب وأولاد الأسر، تعرف المطرب بفتاة لعوب أظهرت له من صنوف الإغراء ما جعله يؤمن بأنها تجبه ، فانزاق في تيارها حتى صعب عليه أن يمنع نفسه من الانحدار ، وتمكنت الفتاة من أن تنزع منه وعدا بالزواج

في ساعة من ساعات النشوة الخالمة ، وكانت تستنجزه وعده وهو في حيرة وتفكير دائم عم
يفعله بزوجه التي صارحته منذ أشهر بأنها تحمل جنينا .

وجاءه المخرج اذ قارب زوجته الوضع ، فأشار عليها أن تلد في بلدته عند والدته حيث
تجد من يعني بها ، فالتحذعت الساذجة وسافرت تاركة زوجها ليني على الفتاة اللعوب التي
سلبته العقل وثلث منه التفكير .

وفوجئ سكان الحى الذى يسكنه المطرب بأثاث جارهم ينقل من المنزل الى جهة مجهولة
قتساءلوا : ما السبب ، فظنوا البعض من عرفوا حقيقة الموضوع باخبارهم بأن المطرب سيترج
ولذلك فسيتنقل الى مسكن أكبر ، وقد سافرت "شقيقة" الى بلدته لحضرت مع أقاربه .

تزوج المطرب من فتاته وظل في نشوة الزواج متناسيا زوجته الساذجة "أمينه" التي تحملت
معه صنوف الشقاء والحرمان والتي وضعت مولودة فرحت بها وخيل اليها أن نجما جديدا أشرق
في سماء سعادتها وربطها بزوجها برباط أبدي ، ولكن الزوج الغافل لا يدري شيئا من كل هذا ،
بل هو سادر في غيوبته التي حياتها له زوجته الجديدة من المجلس الصاخب وارتداد
المجتمعات وغشيان الحفلات فكانا لا يرجعان الى بيتهما إلا قبل شروق الشمس يتقابل ،
وكان حتما عليه أن يجارى المجتمع في تقاليده ودستوره فهو يحتسى الخمر ويدخن المحظورات
ويرتكب كل ما يفعله المجتمع الصاخب من بدع ومنكرات .

وفي ذات يوم رجعت الزوجة تحمل طفلتها المولودة فلم تجد من يستقبلها في المحطة برغم
إرسالها ما يفيد ذلك ، فظننت أنه ربما قد نسي الموعد أو حدث ما آخره ، فعمدت شطر
المزول ودقت جرس الباب ، ففتح لها خادم لم تره من قبل متسائلا ، فأرتبكت أمينة لما
لا حظت على المنزل من تغير ظاهر وسألت : أليس هذا المنزل للأستاذ عبد العظيم مسعود
فورد عليها الخادم قائلا : إن المطرب قد انتقل من المنزل قبل سكناهم وقد سمع أنه سكن
في شارع كذا المجاور بعد أن تزوج في الشهر الماضى .

وقع الخبر على أمينة كصاعقة نزلت عليها فلزلت كينها ولكنها ذهبت إلى عنوان زوجها
الجديد يعذبها الشك ويحدوها الأمل في تكذيب هذا الاقرباء الشنيع ، ولكن الحقيقة قابلتها
هناك بقسوتها المريرة ، فكانت الصدمة هائلة للزوجة الوفية الساذجة التي ليس لها في الحياة
إلا رجلها الغادر ، وعادت مثقلة النفس بالام الفشل الى حيث لا تعلم لها طريقا بينا كلمات
منافستها ترن في أذنها كالجواب السامة ، وتلك الوريقة البيضاء نظير الفراق الأبدى التي
أعطاهها إياها الخادم تهترى يدها المضطربة ، ومشت كالضلالة في ميادين الحياة الواسعة ،
حتى انتهى بها المطاف في مكتب أجد الخدميين الذين كانت على صلة بهم من قبل فخطت
رحالها ، وأمكنتها أن تلتحق بمنزل أجد الموسرين كرضعة لطفلهم الصغير .

أما عبدالعظيم فإنه ما كاد ينضم إلى هذه الفئة حتى تملكه الفرور وصار يرد طلبات المعجبين به بتأنف وكبرياء، ويشترط شروطا تعسفية مع متعهدى حفلاته، ثم إن زوجته بدأت تصرف عنه بعد غشيانها المجتمع، بل صارت تحقر من شأنه وتذممه بوضاعة أصله، وكان المطرب المسكين يروض نفسه على الاحتمال، حتى ناء بكلكله ونفر من الحياة المنزلية، فقذف بنفسه بين أصدقاء السوء يقضى الليالي بين المحيون والعريضة حتى تعود على قضاء كل أوقاته في الخارج متبعاً هؤلاء الأصدقاء في عاداتهم بازا إياهم فيما يتعاطون من سموم المخدرات حتى صار في دنيا الاستمرار عضوا كبيرا بارزا .

وتماثلت المكيفات والسهر الطويل على إفساد سموته الساحر، وأراد القدر أن يسترد من الشاب الناكر للجميل هبته العظيمة، وأن يتركه يتخبط في ظلمات طغيانه وافترائه، فما لبث عبدالعظيم أن شعر بجنجرتها الفضية يعلوها الصدا وأوتار سموته الرخيم تقطع واحدا فواحدا، فما من حفلة ذهب لإحيائها إلا وشعر بيوادر الفشل تكال مجهوداته الضائعة، وما من آهة منه كانت تأخذ فيما مضى يجامع الألباب إلا وتصحبها حشجة وتناهبها خشخشة تتردد على أثرها صيحات السخرية وكلمات الاستهزاء وضحكات الشامتين المسحوبة بلاذع النكات وقارص المعاني والأقوال .

وكان هذا الشقاء الجليد يتضاءل أمام عينيه إلى جانب ما يلاقه من أقوال الزوجة المستهتره وسخريتها الدائمة وضخبها المستمر مما جعله يتمنى الموت على حياة تنذر بالذل والهوان. وتمادى في تعاطي المكيفات مستعينا بها على نسيان آلامه وأحزانه، ولم تجل عليه المكيفات بصداقتها حتى أصبح مدمنا لا يرى إلا بين الكأس والنار جيله، فساءت صحته وسدت أبواب الرزق في وجهه، وانفض أصدقاء السوء من حوله، كما قات موارده وضاعت ذات يده، ولم تجد الزوجة بدا من الطلاق بعد أن ضاعت آمالها في المطرب الكبير. وهكذا أصبح وحيدا إلا من فقره وشقائه .

وتصادف أن دعى لإحياء حفلة زفاف، فانتعش أمله من جديد، وقضى اليوم السابق للحفلة في التأهب والاستعداد وتعاطي المشروبات الساخنة والنوم الطويل، ولما قاربت ساعة المحدودة للغناء ذهب إلى الحفلة متسطحبا معه من وافقه من أفراد فرقته المنحلة، واحترق قلبه فرحا عندما وقعت عيناه على معالم الزينة وثغامة المكان المعد لغنائها حتى عادت إلى قلبه المحروم بعض الثقة وابتسم كثيرا للجمهور المحتشد في المكان الكبير وانحنى كثيرا قبل أن يأخذ مكانه من المنصة العالية .

ودنا موعد الغناء، وطال التصفيق والتهليل، وعبد العظيم حائر مضطرب لا يدري بأى أغنية يبدأ، وأبها أطول لصوته الضعيف من غيرها، وأخيرا ابتداء في العزف واستمد

